# الصدقات والنذور الأوروبية لأديرة الشرق الأدنى الإسلامي

## (جبل صهيون وسانت كاترين أنموذجًا) دراسة تاريخية وثائقية

## ١٢٩١– ١٥١٧م/ ٦٩٠– ٩٢٣هـ.

أ.م.د/السيد صلاح محمدالهادي

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

**ملخص البحث:**

يتناول هذا البحث الصدقات والنذور الأوروبية لأديرة الشرق الأدنى الإسلامي وبخاصة ديرا جبل صهيون وطور سيناء، وقد لعبت هذه الصدقات والنذور دورًا مهمًّا في حياة الرهبان، وكانت مصدرَ دخلٍ أساسيّ لهم في فترات عصيبة مرَّت عليهم، ولم تقتصر هذه الصدقات والنذور على أبناء الغرب الأوروبي فحسب، بل شاركهم المسلمون أيضًا حُكَّامًا ومحكومين.

وقد قسمت الدراسة إلى عدَّة أقسام كما يلي: تعريف الصدقات والنذور، وفي القسم التالي انتقلت إلى الحديث عن أوضاع الرهبان، وتعرُّض هذه الصدقات للمصادرة والاستيلاء عليها، وأعقبت ذلك ردَّة فعل السُّلطات المملوكية تجاه التعدّي على صدقات ونذور الرهبان، ثم دلفت للحديث عن الصدقات النقدية والعينية، وبعد ذلك تناولت بالنشر عددًا من الوثائق العربية والأجنبية التي تتحدث عن الصدقات والنذور، ثم قدَّمت خاتمةً تضم أهم نتائج الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** الصدقات والنذور، مصر، القدس، الأوروبيون، دير سانت كاترين.

**Abstract:**

This study aims to investigate the alms and vows made to Christian holy sites in the Islamic East, particularly the monasteries of Mount Zion and Mount Sinai. These alms and vows played a significant role in the lives of the monks as a primary source of income during difficult periods. These alms and vows were not given by Western Christians alone but were given by Muslims as well.

The study is divided into several sections: defining alms and vows, discussing the conditions of the monks and the confiscation of these alms, the reaction of the Mamluk authorities to the encroachment on the alms and vows of the monks, then discussing monetary and in-kind alms, followed by the publication of several Arabic and foreign documents that discussed these alms and vows. Finally, the conclusion summarizes the most important findings of the study.

**Keywords:** Vows, Alms, Egypt, Jerusalem, Europeans, St. Catherine's Monastery

**مقدمة:**

يُسَلط هذا البحث الضوء على الجانب الخيّر من العلاقات بين الغرب والشرق، واتحادهما من أجل خدمة فئة الرهبان[١]، واتفاقهما على اتباع هذا النهج. فابتعدت هذه الدراسة عمَّا اعتادته الأبحاث من تناول الصراعات والحروب، والخطط والمشاريع السياسية، وتخطَّت ذلك إلى ما يدعم السلام بين الأمم؛ فانصَبَّ البحث على دراسة ما كان يأتي من خيرات في صورة هبات وصدقات بشكل أساسي من الغرب الأوروبي إلى أديرة الشرق العربي بالقدس وسيناء، مدعومةً بالمزيد منها من قِبَل المسلمين أنفسهم في عصر الدولة المملوكية (**١٢٥٠– ١٥١٧م/ ٦٤٨– ٩٢٣هـ**)، وأيضًا من قِبَل المسيحيين الشرقيين.

أما عن الحدود الجغرافية والتاريخية للدراسة، فتشمل كل ما يتعلق بالصدقات للديريْن (جبل صهيون وسانت كاترين) في القدس وسيناء، وتشمل أماكن ممتدة من ساحل الشام شرق البحر المتوسط حتى كل الغرب الأوروبي خصوصًا في جنوبه لوجود ممتلكات تخص دير صهيون بها. أمَّا من حيث الحدود الزمنية: فتبدأ منذ أن آلَت السيادة على دير صهيون إلى السيادة الإسلامية بدايةً من عهد صلاح الدين، وصولًا إلى نهاية الدولة المملوكية في الشام **١٥١٧م**، خصوصًا أنه صادف العام نفسه الذي أصدر فيه الملك هنري الثامن، ملك انجلترا، مرسومًا بمنح صدقة مالية سنوية لدير الفرنسيسكان[٢]. ولعلَّ هذه الفترة تُشَكِّل الحدود الزمنية التي تخص دير سانت كاترين أيضًا، علمًا بأنه لم يخضع يومًا لسُلطة غير السُّلطة الإسلامية على مَرِّ القرون.

**الدراسات السابقة:** يأتي كتاب الدكتور أحمد دراج تحت عنوان "وثائق دير صهيون بالقدس الشريف"[٣] على رأس هذه الدراسات التي أفاد منها الباحث، وتكمُن أهمية هذه الدراسة في أنها فتحت الباب أمام الباحث لتتبُّع هذه الوثائق، وتمعُّن ما فيها، وثمة دراسة أخرى للدكتور عمار مرضي علاوي[٤]، وهي دراسة مهمَّة تناول فيها التعريف بالرهبان الفرنسيسكان، وأماكن وجودهم، كما سلَّط الضوء على سياسة التسامح الديني الإسلامي تجاه أهل الذمة، غير أن هذه

الدراسة لم تتطرق إلى موضوع الصدقات والنذور. أضف إلى ذلك دراسة أخرى للدكتور روكسي بن زائد العزيزي(٥)، ركزت على نص كتاب الأمان الذي منحه سيدنا عمر بن الخطاب لأهل (إيلياء) القدس، كما سلَّطت هذه الدراسة الضوء على عدة مراسيم مملوكية في عهد السلطان برقوق وجقمق وخشقدم، وقد عبرت هذه المراسيم عن روح الإسلام السمحة. كذلك توجد دراسة قيِّمة للدكتور علي أحمد السيد، أفاد منها الباحث في الوقوف على الجذور التاريخية للممتلكات والريوع، وكذلك الصلاحيات والامتيازات التي حازها دير جبل صهيون(٦)، واهتمَّت دراستي بتتبُّعها في العصر المملوكي.

أما بالنسبة للدراسات السابقة الخاصة بدير سانت كاترين: فهناك دراسة مهمَّة للمطران نقولا أنطونيو تحت عنوان" الدولة المملوكية ودير القديسة كاترينا السينائية"(٧)، وفيها سلَّط الضوء على وضع أهل الذمة في الإسلام، ثم عرَّج بالحديث إلى نشأة الدير، ووضعه في فترة العصر المملوكي، ثم اختتم دراسته بنشر مراسيم سلاطين المماليك المعطاة لدير طور سيناء(٨)، إلا أنه لم يتطرق بالحديث عن الصدقات والنذور التي منحت للدير.

أمَّا عن المنهجية المتبعة، فتقوم على المنهجية التاريخية النقدية تحليلاً وتوضيحًا ودراسةً لكل الوثائق التي وضع الباحث يده عليها لبلوغ الهدف من الدراسة ما تطلَّب اللجوء إلى المنهج البنائي بغرض تشكيل نتائج تاريخية جديدة.

**الصدقات والنذور لغةً واصطلاحًا:**

**الصدقة**: وجمعها صدقات، وهي كل ما يُتَصَدَّق به على الفقراء والمساكين تقرُّبًا إلى الله، وهي كل ما يُخرجه الإنسان من مالِه كالزكاة، وبهذا تكون الصدقة أوسع وأشمل من النذور(٩).

**النذور**: نَذَرَ الشيء نذرًا أو نذورًا: أَوْجَبَه على نفسه، والنذور ما يُقدِّمه المرء لِرَبّه، أو يوجبه على نفسه صدقةً أو عبادةً أو نحوهما، وجمعها نذور، وهي مأخوذة من الفعل نَذَرَ بمعنى كَرَّسَ أو

خصَّصَ، إذا نَذَرَ الرجل نذرًا للرب، أو أقسم قَسَمًا عليه الوفاء به، ودائمًا ما يرتبط النذر بالعواقب الوخيمة والخطيرة(١٠).

**دير جبل صهيون ودير سانت كاترين جغرافيًّا وتاريخيًّا:**

يقع جبل صهيون جنوب غرب مدينة القدس، ويُطلَق عليه اسم (جبل النبي داود)، وقد استولى نبي الله داود عليه من اليبوسيين الذين كانوا يقطنونه، وأقام فيه، وأطلق عليه مدينة داود. وفي القرن الرابع الميلادي أقام البيزنطيون كنيسةً كبرى فوق جبل صهيون عُرِفَت بكنيسة "صهيون"، وظلَّت هذه الكنيسة قائمةً إلى أن سقطت في عام **١٢١٧**م، ولم ينج من الهدم سوى الجانب الغربي من المبنى، وترتب على سقوط الكنيسة إهمال المسيحيين لهذه الأماكن المقدسة، لكن في عام **١٢٤٥**م تمكَّن الرهبان الفرنسيسكان من أن يحصلوا من السُلطات الأيوبية على حق توليهم رعاية هذه الأماكن المقدسة، وفي عام **١٣٣٥**م أُتيحت لهم فرصة توسيع مقرِّهم، وبناء دير صهيون(١١).

أمَّا دير سانت كاترين فيقع على قِمَّة من قِمَم جبال طور سيناء على أحد أفرع وادي الشيخ، حيث يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي **٥٠١٢** قدمًا على خط العرض **٥٥ , ٣٢** شمالًا، والطول **٥٨ , ٣٣**. ويبلغ طول الدير اثنين وثمانين مترًا، وعرضه اثنين وأربعين مترًا، ومتوسط ارتفاعه أحد عشر مترًا، وسمك جدرانه نحو المترين، وقد بُنيت جدرانه من نفس جرانيت القمم الجبلية المحيطة به(١٢).

ويُعَدُّ دير سانت كاترين من أقدم أديرة العالم، وقد أُطلقت عليه عدة أسماء نذكر منها "دير السيدة العذراء مريم" نسبةً إلى تشييد أول كنيسة في هذا المكان باسمها، وبعد زيارة القديسة هيلانة، أم الإمبراطور قسطنطين الكبير، للدير عام **٣٤٢**م، وتشييدها كنيسةً وقلالِيَّ وسورًا لحماية الرهبان، وتخليدًا لزيارتها أطلق الرهبان عليه "دير القديسة هيلانة"(١٣).

غير أنه في عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧– ٥٦٥م) أرسل الرهبان للإمبراطور وفدًا يسألونه أن يُشيّد لهم ديرًا ثابتًا، ومبانيَ وحِصنًا للحماية، فأجابهم إلى طلبهم، وأرسل لهم في عام ٥٤٥م مهندسًا يُدعى إسطفان إيليسيوس(١٤) لتصميم الدير ومعه مجموعة من البنَّائين، وأطلق على الدير اسم "دير سانت كاترين"، وهي إحدى شهيدات الاضطهاد البيزنطي لمُعتنقي المسيحية في مصر(١٥).

## أولًا: الجذور التاريخية للصدقات والنذور الواردة من الغرب الأوروبي

تناولت وثيقة البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١٦) الممتلكات والريوع التي قدمتها البابوية هبةً أو صدقةً لدير جبل صهيون، وشملت حوالي ثمانية وعشرين قريةً وكرمات وعشور كنائس بالكامل أو أنصافها في مناطق مترامية الأطراف؛ منها في الشرق اللاتيني، وأغلبها في الغرب الأوروبي. ولمَّا كان الشرق اللاتيني قد استردَّه المسلمون منذ حِطّين وصولًا إلى عام ١٢٩١م، فإنَّ السُلطة الإسلامية، سواءً أكانت أيوبية أم مملوكية، لها باعها أيضًا في التَّصدُّق للدير. أمَّا ما هو كائن في الغرب الأوروبي، فلابد أن يُشَكّل قضية جديرة بالمناقشة والحوار بين البابوية صاحبة الأمر في الغرب وبين السُلطة الإسلامية المسيطرة واقعيًّا وسياسيًّا على الدير في الشرق، ما ترتَّب عليه في النهاية الوصول إلى ضمانات لاستمرارية وصول هذه الصدقات إلى الرهبان في ديرهم.

ومن بين الصدقات التي آلَت إلى دير جبل صهيون من الشرق الإسلامي، إقطاعية نابلس في شمال القدس، فقد تم تخصيص كثير من الصدقات لدير جبل صهيون؛ إذ خَصَّصَ البابا ألكسندر الثالث ممتلكات المدينة وريوعها والأراضي المُحيطة بها للدير. كذلك كان لدير جبل صهيون نصيبٌ من الصدقات في أراضي عسقلان(١٧) Ashkelon والأراضي المُحيطة بها مع نصف عشورها(١٨).

وسأتناول في هذا الموضع باختصار أهم ما وثَّقَه مرسوم البابا ألكسندر الثالث **لدير جبل صهيون بالقدس من ممتلكات وريوع للدير في الغرب الأوروبي**. وجاء البابا بندكت الثاني عشر Benedict XII (**١٣٣٤– ١٣٤٢م**) في عام **١٣٣٦م** ليُجدد مرسوم البابا ألكسندر الثالث للمرَّة الخامسة بالنَّص ذاتِه المكتوب منذ عصر الوجود الصليبي في الشرق، وتتضمَّن هذه الممتلكات الآتي: جزيرة صقلية Sicily، وهي أوَّل ما تناولته الوثيقة، والتي شملت الحيازات الواقعة في دوقية أجرجنت Agrigent، حيث شملت الثروة الحيوانية الكائنة في المراعي المُحيطة بالكنيسة، وفي دوقية أخرى داخل صقلية ذكرتها الوثيقة باسم كاتان Catan منح البابا ألكسندر الثالث لدير صهيون ملكيات أوسع تمثَّلَت في كنيسة القديسة ماريا دي باراتات Saint Marie Baratatمع نصف القرية الكائنة فيها، أضِف إلى ذلك أنَّ الوثيقة عدَّدت ممتلكات الدير الأخرى، وتشمل كنيسة القديسة ماريا دي ميزينا Saint Marie de Mezzina مع كامل أراضيها المُحيطة بها، وأخيرًا مُنِحَ الدير كنيسة القديسة حنة دي فيسينا Saint Hannh de Vesina مع كل أراضيها، والحق في الانتفاع بالضيافات وقبورها وعشورها. وفي إقطاعية جيراشيللي Geracelli التابعة لجزيرة صقلية تم تخصيص كنيسة القديس باسيل Saint Basil وأراضيها(١٩).

ثم انتقلت الوثيقة إلى ذِكر الممتلكات التي ثبتتها لصالح الدير في شبه الجزيرة الإيطالية؛ ففي كالابريا Calabria حيث إقطاعية سينوبولي Sinopoli تم تخصيص ريوع كنيسة القديس تيودور دي باريلليس Saint Theodore de Barelles مع كامل أراضيها، إضافةً إلى الأراضي الأخرى المُحيطة بالكنيسة. أمَّا في شمال إيطاليا حيث إقليم لومبارديا Lombardy، فقد أكَّدَت الوثيقة نقل أراضي وحقوق كنيسة نوفيل Nouvelle التابعة لأسقفية أولبان Ulpan، وكذلك نقل مِلكية حقوق وأراضي وريوع كنيسة تابعة لأسقفية مدينة بافيا Pavia الثرية الواقعة عند حوض نهر البو مع منزل تابع للأسقفية ذاتها(٢٠).

ثم كانت للدير ممتلكات أوروبية أخرى في فرنسا مثل مدينة أورليان Orleans، والتي تم تخصيص كنيسة القديس سانونيس Saint Sanonis مع كامل حقوقها وأراضيها المُحيطة بها، وفي دوقية بيتوريكن Petoriken تم التأكيد على مِلكية منطقة برونزويك Brunswick، والتي تضم كنيستيّ القديس بليز Saint Blaise والقديس يعقوب Saint James. وتمثَّلَت آخر الممتلكات داخل فرنسا في كنيسة القديس سافيولي Saint Savioli التابعة لأسقفية بيكتافن pictavn مع المناطق المُحيطة بها وكامل حقوقها(٢١).

وأتت قائمة ممتلكات الدير إلى منتهاها في إسبانيا، لتشمل كنيسة القديسة ماريا دي فيريم Saint Maria de Verim التابعة لأسقفية بالنسيا Palencia (الواقعة في الشمال الغربي من إسبانيا) مع كل حقوقها وجميع عشورها، وفي منطقة قشتالة Castile تم منحه بعض المنازل مع المناطق المحيطة بها. أمَّا في منطقة ليون Leon التي تُعَدُّ أحد أقاليم قشتالة، فتَمَثَّلَت الهِبَة في كنيسة حِصن أنيبيزا Anibiza وتُدعى كنيسة القديس كولومبوس Columbus مع جميع حقوقها وعشورها والمناطق المحيطة بها، وفضلاً عن ذلك تم تخصيص ضيعة أونيسيا Onesia بالمناطق المُحيطة بها وكامل حقوقها والإعفاءات الخاصة بها وفقًا لمنحة ملك قشتالة ألفونس الأوَّل Alphonse I مُضافًا إليها كنائسها الكائنة بها(٢٢).

أمَّا عمَّا آلَ للدير من نقود مُجَرَّدَة ومُصَفَّاة، فتتمثَّل في ريوع عشور كنائس وأنصاف ريوع كنائس؛ ففي صقلية نجد كنيسة القديسة ماريا دي ميزينا التابعة لدوقية كاتان، والتي قَدرت الوثيقة دخلها بنحو خمسة وخمسين سالارًا Salara ذهبيًّا(٢٣)، ومن بين العشور التي مُنِحَت لدير صهيون أيضًا عشور كنيسة القديسة حنة دي فيسينا، وكذلك كنيسة القديس باسيل، والتي كانت تُدِرُّ دَخلاً يُقَدَّر بنحو ستة سالارات. كما بلغ مقدار ما يُدِرُّه حِصن يوحنا للدير أربعة وثلاثين سالارًا(٢٤). وفيما يخص ريوع عشور كنائس إسبانيا، فقد ذكرت الوثيقة أنَّ كنيسة القديس كولومبوس التابعة لإقليم قشتالة خصَّصَت جميع حقوقها وعشورها والمناطق المُحيطة بها لدير

صهيون[٢٥]. وهذا النوع من الصدقات النقدية يعني إعفاء رهبان الدير من تكبُّد عناء إدارة ممتلكاته، فلم يكُن عليهم إلا أن يتحصَّلوا على عوائدها عن طريق مندوبيه.

ومن ثم كان لابد من وجود مجموعة من الرهبان المُناط بهم نقل هذه الريوع بشكلٍ دوريٍّ كل سِتَّة أشهر من الغرب إلى الشرق، ولم يتوقف دورهم على هذا النقل المادي فحسب، بل لعبوا أيضًا دورًا مُصاحبًا لذلك تمثَّل في نقل الأفكار والأخبار والرؤى التي تخُصُّ الرهبان في الشرق والغرب، ولعل أهم هذه الأفكار والمعتقدات ما يخُصُّ طائفة الفرنسيسكان التي رأى مؤسسها فرنسيس الأسيزي[٢٦] أن يتخذ من القدس ودير صهيون منبرًا يطلق منه دعوته للعالم الغربي بأكمله.

ومن المثير للدهشة أنَّ صدى وثيقة عهد البابا ألكسندر الثالث ظلَّ يتردد لقرون برغم اختلاف السُّلطة بأن غدت السيادة على الدير مملوكية، إذ نجد صداه في مرسوم السُّلطان الظاهر بيبرس البندقداري (١٢٦١– ١٢٧٨م)، وظلَّ يُجَدَّد في عهد السلاطين المماليك من بعده، وكان قد تم إصداره بطلبٍ من رئيس رهبان دير صهيون الفرنسيسكان وفيه عبارة" ...ولا تمنع الصدقة المحضرة إليهم من بلادهم، ولا يعارضهم فيها احد من الخفرا والشادين بالمين (ربما المقصود به ميناء يافا) والسواحل والطرقات وغير ذلك ولا يعارضوا في جميع مزاراتهم بالاماكن التي لهم بها عادة ... [٢٧]".

ويُلاحَظ بوضوح أنَّ بنود هذا المرسوم المملوكي الممتد مفعوله طيلة هذا العصر قد تأثَّرَت بشدة بقرارات العهد البابوي إذ أبقى على تدفُّق الصدقات التي تُدِرُّها ممتلكاتهم التي ما زالت مُخَصَّصَة لهم في الغرب، ولا عجب في تشابُه المرسوم المملوكي بالعهد البابوي على هذا النحو، ولعل تفسير ذلك يكمُن في أنَّ المنتفع في الحالتين واحد، فقد جاء العهد البابوي في القرن الثاني عشر الميلادي ليُقِرَّ الهِبات، ويُعطي الامتيازات إلى الرهبان في دير صهيون، ثم أخذ يُجَدَّد على يد بابوات روما لفترة طويلة، وإذا ما كان العهد قد فرغ مفعوله عمليًّا فيما يختص بالحيازات الممنوحة

للدير في الأراضي المقدسة جرَّاء طرد الصليبيين، فقد ظلَّ تأثيره كبيرًا من خلال مصادر الثروة الآتية بلا انقطاع من الغرب الأوروبي، وها هم رهبان الدير ذاته وقد توجَّهوا– بدورهم– إلى السُلطة المملوكية لإقرار مطالبهم في دائرة نفوذه، فما كان منه إلَّا أن استجابَ لتلك المطالب، وهذا– في حد ذاته– شاهد أكيد وقوي على التعامل السَّمح من قِبَل المسلمين المماليك تجاه أهل الذمة حتى لو كانوا من الغرباء الفرنج(٢٨).

**أمَّا فيما يتعلَّق بالصدقات التي تَرِد إلى دير سانت كاترين**، فكانت قَيِّمَة أيضًا، واستطاعت أن تَسُدَّ رَمَق رهبان الدير، وتُلَبِّي احتياجاتهم، ولم يبخل أبناء الغرب الأوروبي بتقديم الصدقات لهم، وذلك على حَدِّ وصف أحد المؤرخين المحدثين إذ يقول:" وكان هذا الدير منذ إنشائه قبلة رؤساء الكنائس في العالم، وكان الأباطرة والملوك يولونَه عنايتهم، ويُمدُّونه عن سخاء بالعطايا والهدايا الثمينة(٢٩)، وكان البابا جريجوريوس الأوَّل Gregory I (٥٩٠– ٦٠٤م) من أوائل الباباوات الذين قدَّموا الهدايا إلى الدير. وفي سنة ١٤١١م أهدى الملك شارل السادس Charles VI ملك فرنسا كنيسة الدير كسوة ثمينة ضَمَّت بعض الأكواب الذهبية، وكذلك دفع لويس الحادي عشر Louis XI (١٤٦١– ١٤٨٣م) إلى الدير مبلغًا كبيرًا من المال وفاءً لنذر قُدِّرَ بنحو ألفين من الدوكات(٣٠). وقد سَجَّلَت الوثائق أنواع العطايا السَّنِيَّة التي قدَّمتها الملكة إيزابيل Isabelle ملكة إسبانيا (١٤٨١– ١٥٠٤م)، والتي منحت الدير صدقة قدرها خمسمائة دوكات سنويًّا، وكذلك إمبراطور ألمانيا مكسميليان Maximilian (١٤٩٣– ١٥١٧م)"(٣١) الذي منح الدير الكثير من الهِبَات.

ولا يفوتنا ذِكر ما قام به رئيس أساقفة جزيرة كريت عام ١٢٠٣م حينما خَصَّصَ معظم صدقات الجزيرة لتكون في خدمة رهبان دير سانت كاترين، وذلك محبَّةً في القديسة كاترين، وكانت هذه الصدقات قَيِّمَةً جدًّا، وتتكوَّن من ممتلكات ريفية في العاصمة الكريتية كانديا Candia، مثل: ريوع كنائس القديس المنقذ المقدسHoly Savior، وسانت جورج

St.George، وسانت سيمون St. Simon، وكذلك كل ما يخصهم من أراضٍ ومنازل في كلٍّ من Sclavavfe، ودير سانت جون St.John، وكنيستيّ سانت نيكلوسSt. Nicklaus ، وسانت باربارا St. Barbara ، في مدينة كانديا، وكانت كل هذه الممتلكات تُدِرُّ رِيعًا يُقَدَّر بأربعمائة دوكات سنويًّا(٣٢). وعلى الرغم من تعاقُب الحُكَّام والملوك على جزيرة كريت، فقد ظلَّ حُكَّام الجزيرة على نهج سابقيهم في إمداد دير سانت كاترين بكل النذور والصدقات؛ فعندما سيطر أهالي البندقية على كريت سنة ١٢٠٤م أقَرَّ قاضي البندقية (بيتروزياني) الرهبان على صدقاتهم، كما حذا بقية القضاة حذو بيتروزياني حتى فقدت البندقية سيطرتها على الجزيرة عام ١٦٤٥م(٣٣).

وتأكيدًا لما ذهبنا إليه، فقد أشار الرحَّالة "بيرو طافور" إلى أنَّ أحد كبار سادة "كانديا" تَرَكَ حين موته دخلاً يُقَدَّر بأربعة آلاف دوكات، خَصَّصَ جُزءًا كبيرًا منها لرهبان دير سانت كاترين(٣٤).

ولدينا رواية مهمة للرحَّالة الألماني فيلكس فابري يُفهَم منها أنَّ هناك صدقات ونذور كانت تَرِدُ إلى دير سانت كاترين من ألمانيا والمَجَر إذ يقول:" في عام ١٤٨٣م جاء أحد رهبان دير القديسة كاترين إلى كنيسة أولم Ulm يحمل معه ورقة فحواها أنَّ الكنيسة في حاجة إلى ترميم، وعلى الرعايا أن يُسهموا في ذلك طلبًا للبركة والغفران، غير أنَّ فيلكس فابري حَرَّضَ جموع الحاضرين في كنيسة أولم على عدم مساعدة هذا الراهب(٣٥)، ولمَّا ضاقت الأرض على هذا الراهب لجأ إلى ملك المَجَر ماتياس Matthias (١٤٥٨-١٤٩٠م) الذي أعطاه بعض الصدقات، فعاد مُسرعًا إلى ديره في سيناء"(٣٦).

**ثانيًا: واقع الصدقات والنذور لأديرة الشرق الأدنى: دير جبل صهيون ودير سانت كاترين في الوثائق**

استمرَّ تدفُّق الصدقات والريوع بصفة عامة من الغرب الأوروبي إلى الشرق الإسلامي في أواخر العصور الوسطى، وهذا يتبيَّن مما وَرَدَ في مصادر البحث التي اعتمد عليها الباحث استنادًا إلى ما نَشَرَه الأب نوربرتي ريشاني Norberti Risani عام **١٩٣١**م، وفيها تناول موارد الشرق والغرب التي تصل إلى دير جبل صهيون(٣٧). أمَّا فيما يخُصُّ ما يصل إلى دير سانت كاترين، فقد اعتمدت الدراسة على الوثائق المحفوظة في مكتبة الدير(٣٨) وبخاصة ما جاء في وثائق النسخة المصوَّرة على ميكروفيلم مكتبة الكونجرس تحت رقم **٥٠١٤** عربي(٣٩).

وقبل أن نتناول هذه الصدقات والنذور من واقع الوثائق، علينا أن نستعرض أوضاع الرهبان في الديريْن (جبل صهيون وسانت كاترين)، فقد عاش الرهبان البندكتيون(٤٠) في جبل صهيون عيشةً فقيرةً تَتَّسِم بالبؤس والشقاء، إذ كانوا يحيون حياة الزهد والتقشف، ولا يأكلون اللحم إلا نادرًا، ومن عاداتهم أيضًا ألا يتناولونه في غرفة الطعام حتى لو كان اليوم عيدًا، فإنهم يأكلون سمكًا، ثم يخرجون في المساء في حديقة الدير، وهناك فقط يأكلون اللحم، وربما يكون ذلك تحايلاً أو إمعانًا في التقشُّف والتقرُّب إلى الله، غير أنَّ الفرنسيسكان الذين جاءوا إحلالًا وتطويرًا للرهبان البندكتيين(٤١) في القدس في دير جبل صهيون كانوا أفضل حالًا بسبب ما كان يَرِدُ إليهم بشكل منتظم من خلال الريوع الثابتة والمؤمَّنَة ارتكانًا إلى وثيقة عهد البابا ألكسندر **١١٧٨**م، والتأكيدات عليها، وصولًا إلى مرسوم البابا بندكت الثاني عشر **١٣٣٦**م، وربما بعده أيضًا، وسوف يتبيَّن لنا ذلك بوضوح من خلال الصفحات التالية بشكلٍ مُوَثَّق طيلة العصر المملوكي، إلا أنَّ هذا لم يمنع من أن تذكُر الوثائق– في بعض الأحيان– أنَّ هؤلاء الرهبان فقراء ومحتاجون، وهو ما أكَّدَه مرسوم السُّلطان برقوق (**١٣٨٢**– **١٣٩٨**م/ **٧٨٤**– **٨٠١**هـ) المؤرَّخ بـ **٩** شوال **٧٩٠**هـ، بما نصُّه" أن الرهبان بكنيسة دير صهيون بالقدس الشريف انهوا انهم منقطعين

في كنيستهم المذكورة ياكلوا الصدقة (يعتمدون عليها) وليس لهم رزقا به ولا معلوم ..." (٤٢)، وفي مرسوم آخر يرجع إلى عهد السُّلطان برسباي (١٤٢١- ١٤٣٧م/ ٨٢٥- ٨٤١هـ) بتاريخ ١٣ جمادى الآخرة ٨٣٥هـ يذكر" ان الريس بدير صهيون بالقدس الشريف وجماعة الرهبان المقيمن به رفعوا قصة للمواقف الشريفة انهوا فيها انهم فقراء ومساكين ومنقطعين ..." (٤٣).

ويُمكن القول بأنَّه نادرًا ما تذكر وثائق ريشاني أنَّ رهبان دير جبل صهيون فقراء ومحتاجون باستثناء المرسومَيْن السابقيْن المؤرَّخين بتاريخ ٩ شوال ٧٩٠هـ و١٣ جمادى الآخرة ٨٣٥هـ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انقطاع الصدقات في هذيْن العامَيْن نتيجةً لهجمات القراصنة الفرنج على الموانىء المصرية والشامية، وهو ما دفع السُّلطات المملوكية إلى اتخاذ تدابير قاسية ضد الرهبان كان من نتائجها توقُّف الصدقات والنذور، وهو ما سنذكره بالتفصيل في صفحات البحث التالية.

أمَّا رهبان دير سانت كاترين فقد عاشوا حياة التقشف، ومن مظاهر هذا التقشف أنهم كانوا يحصلون على الخبز من القاهرة عن طريق الجمال والقوافل المارة بالدير، وكل منهم كان يأكل رغيفًا واحدًا في اليوم، وهذا الخبز مصنوع من القمح أو الشعير بدون غربلة الدقيق، ويأكلون الفاكهة مرتين في الأسبوع فقط من حديقة الدير، مع طبق واحد من السمك المُمَلَّح، ولا يشربون الخمور إلا في المناسبات والأعياد الخاصة(٤٤).

وقد جسَّدَ الرحَّالة الألماني فليكس فابري معيشة رهبان دير سانت كاترين مُبديًا إعجابه وانبهاره بحياتهم التقشفية إذ يقول:" ولهؤلاء الرهبان عادات تستحق الثناء، وأنا أثني عليهم لأنهم يأخذون بنظام محدد هو نظام القديس باسيل، ففي ظل قيادته يمارسون حياة قاسية بما فيه الكفاية تجاه الإقلال من الأطعمة، وارتداء الملابس الخشنة، وطعامهم مثل طعام جميع الشرقيين كميته قليلة، وشرابهم اليومي هو الماء، باستثناء بعض أعيادهم العالية جدًّا، فوقتها يُعطَى كل راهب شربة من خمرة، ولا يأكلون اللحوم مطلقًا"(٤٥)، ويستطرد فابري وصفه لحياة الرهبان

واصفًا ملابسهم المُهَلهَلة والرديئة قائلاً:" وثيابهم خشنة ووضيعة، وهذه الثياب هي قمصان لها ألوان متنوعة، فراهب يرتدي قميصًا من نوع مختلف، ومع ذلك ما من واحد من القمصان لونه براق أو من قماش جيد، وهذه القمصان طويلة تشبه غفارة كاهن، وهم ليست لديهم أوشحة كتفية، بل طواقي رأسية، هي ليست مغلقة حول أعناقهم ورقابهم، بل تتدلى نازلة من رؤسهم حتى ظهورهم، ويوجد أمام الصدغين قطعتان تتدليان من القبعة، وهما تغطيان الجزء الأمامي من الكتفين، وهم جميعًا يتركون شعورهم ولحاهم تطول كثيرًا"(٤٦)، أحيانًا يأتي جزء من هذا الطعام عن طريق سخاء وإحسان الكرماء والغرباء الذين يَفِدُون إلى الأراضي المقدسة(٤٧)، أضف إلى ذلك أنه ضمن مظاهر فقرهم أنه لم تكن لديهم وفرة الأثاث في الدير، فقد كانت حجرات الدير تتسم بالتواضع، وكانت حجرات الرهبان لديهم قليلة، وكان كل راهب يعيش في حجرة بمفرده، إلا أنه في عيد الفصح نظرًا لزيادة أعداد الحجَّاج فإنهم كانوا مضطرين لاستضافة ربابنة السُفن التي تنقل الحجَّاج مع بعض معاونيهم، بالإضافة إلى رجال الدين من الحجَّاج، فكان الرهبان يتركون حجراتهم وينامون كل ثلاثة أو أربعة في حجرة واحدة(٤٨)، واتسمت هذه الحجرات بقِلَّة الأثاث الخشبي فيها(٤٩)، أضِف إلى ذلك أنَّ الرحَّالة فابري يصِف مباني دير سانت كاترين بأنها" وأبنيتهم، كما أخبرتكم، ليست مَحَطَّ إعجاب، ولا عالية النفقات، وقد تمددت في قلاية واحد من الآباء المتقدمين بالسن، فلم أجد فيها سوى علائم الفقر الشديد"(٥٠)، ومن الأدِلَّة على تَرَدّي معيشة هؤلاء أنهم في رحلاتهم وتنقلاتهم لم يكن لديهم سوى بغلة واحدة يركبها رئيس الطائفة(٥١).

ولمَّا كانت أوضاع الرهبان في دير سانت كاترين أكثر تقشفًا وفقًا لِمَا وَرَدَ في وثائق الدير على النحو الآتي(٥٢)، فسيهتم الباحث بإلقاء مزيد من الضوء عليها إذ وَرَدَ في بعض المراسيم(٥٣) التي أصدرها سلاطين المماليك لهم:

" اكثرهم مشايخ عاجزين وعميان وانقطعوا بديرهم بجبل طور سيناء وليس لهم ما يقوم باودهم سوى ما يستعطونه من الصدقة"(٥٤).

"الرهبان بدير طور سينا أنهو لموافقتنا الشريفة انهم صعاليك ومنقطعين بديرهم ومنهم عميان ومكسحين وماهم يقتاتون به الا من صدقات النصاري"(٥٥) .

"أنهو فيها أنهم رهبان شيوخ قاطنون بدير طور سيناء بالجبل منقطعة، ولم يكن بجوار ديرهم دارا ولا جارا ومؤنتهم محمولة إليهم ليقتاتون بها"(٥٦).

"جماعة الرهبان بدير طور سينا انهوا لموافقتنا الشريفة انهم منقطعين بديرهم ومنهم عميان ومكسحين وصعاليك فماهم ما يقوم باودهم الا من صدقات النصاري"(٥٧).

" وفيها انهم صعاليك ومنعزلين بديرهم ومنهم عميان ومكسحين وقايمين بالواردين"(٥٨).

"ان قصة رفعت بابوابنا الشريفة باسم الرهبان المنقطعين بديرهم، وماهم ما يقوم باودهم الا من صدقات النصاري"(٥٩) .

وتأسيسًا على ذلك يتأكد لنا مدى تَرَدِّي حالة الرهبان، وأنَّهم يَئِنُّون من الفقر بسبب سوء أحوالهم الاقتصادية بدليل أنَّ هذه المراسيم ذكرت أنهم أصحاب عاهات، مُستَخدِمَةً ألفاظًا مثل (عاجزين، وعميان ومكسحين)، ومن الطبيعي أنَّ أصحاب العاهات لا يستطعون تلبية احتياجاتهم اليومية، إذ يحتاجون للمساعدة، وتوفير سُبُل المعيشة لهم لكونهم يُمثلون حِملاً ثقيلاً على عاتق ذويهم، ومن هنا كانت هذه الصدقات هي مفتاح النجاة لهم، ولذلك طَلَبَ الرهبان من السُلطات الحاكمة في مصر عدم المساس بهذه النذور والصدقات.

أمَّا بخصوص نوعية الصدقات و النذور التي كانت تُعطَى للرهبان فقد انقسمت إلى نوعين:

ونتناول فيما هو آت أنواع الصدقات والنذور التي مُنِحَت لديريْ جبل صهيون وسانت كاترين وفقًا لطبيعة الصدقات، وما إذا كانت نقديَّة أو عينيَّة.

**أ – الصدقات النقدية:**

كانت الصدقات النقدية هي العون الأكبر للرهبان في الديريْن إذ اقتاتوا على الصدقات النقدية المنقولة لهم من الغرب الأوروبي، أو التي كان يمنحهم إياها المتصدقون من الزوَّار والحجَّاج والراغبين في دفن أنفسهم في الأراضي المقدسة في أرض صهيون، فكانوا يدفعون مبالغ طائلة تكون على شكل صدقات نظير تخصيص قبور لهم في هذه الأرض المقدسة(٦٠)، وكذلك حينما يقومون على خدمتهم ورعايتهم وتقديم المؤونة لهم وللمسافرين العابرين، ويأخذون نظير ذلك بعض الهبات والصدقات من هؤلاء الزوار(٦١).

ووفقًا لما وَرَدَ في المصادر فإنَّ الذي يقوم بتنظيم عملية جمع الأموال وتوزيعها قد عُرِفَ بلقب"القَيِّم" إذ كان يُصدِر تعليمات للحجَّاج القادمين من الغرب الأوروبي بتقديم الصدقات للدير، وذلك بما نصُّه: "يجب على الحجَّاج تقديم الصدقات لدير صهيون لكي يستطع رهبانه الاستمرار في خدمة الحجَّاج في فلسطين"(٦٢)، ونتيجةً لذلك فقد انصاع الحجَّاج لتعليمات القَيِّم، ومن شواهد ذلك ما قام به أحد الحجَّاج في عام ١٤٨٣م/ ٨٨٨هـ بتقديمه تبرُّعًا ماليًّا لدير صهيون والأماكن المسيحية الأخرى تراوح ما بين ست وعشر دوكات(٦٣). وفي موقفٍ آخر، وَرَدَ على لسان الرحَّالة الراهب فليكس فابري أثناء رحلته إلى القدس في عام ١٤٨٣م أنَّه حينما دعاهم القَيِّم لتناول العشاء أخبرهم بأنه إذا أراد أيٌّ منهم التبرُّع للدير فيجب أن يتحدَّث في هذا الشأن مع المُختَص بذلك وكان يُدعى يوحنا أوف بروسيا John of Prussia، وبالفعل بعد العشاء توجَّه الحجَّاج إليه، وأعطوه صدقات للدير تراوحت ما بين دوكة واحدة وست دوكات(٦٤).

كذلك تُثبت لنا المصادر وجود دخول أكثر أهمية لرهبان دير جبل صهيون؛ إذ كانت تَرِد صدقات مباشرة من رجال عظيمي الشأن في الغرب الأوروبي مثل الملكة جوانا ملكة نابولي Joana of Naples ( ت ١٣٨٢م)، وجاليوتا مالاتيستا Galeotta Malatesta سيد انكونا(٦٥)، ويؤكد الرحَّالة سوريانو– المتوفَّى عام ١٥٢٩م– على أنَّ هذه الصدقات والمِنَح استمرَّت طيلة حياة هؤلاء المتصدقين، إذ أوقف الدوق فيليب دوق برجنديا مبلغًا يُقَدَّر بألف دوكات طوال حياته على دير الفرنسيسكان، وسار ابنه شارل الشجاع على نهجه في تقديم الصدقات للدير حتى وفاته(٦٦).

ومن المُثير للانتباه أنَّ الملك الإنجليزي هنري الثامن Henry VII (١٤٩١– ١٥٤٧م)(٦٧) كان سخيًّا مع رهبان الفرنسيسكان بالقدس عندما قرَّر أن ينذُر صدقةً سنويةً تبلغ قيمتها ألف دوكات ذهبية خُصِّصَت لرهبان الدير، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يؤمّنهم هذا المبلغ من العَوَز(٦٨)، ولم يكن هنري الثامن وحده الذي يُرسِل تلك المبالغ، بل إننا نجد كثيرًا من النبلاء في فرنسا وإسبانيا(٦٩) والبرتغال وألمانيا وبولندا والمدن الإيطالية (البندقية ونابولي وروما)، ومن البلاد الأخرى يتنافسون على إرسال تلك الأموال والهبات(٧٠).

وعليه، ثبت لنا تاريخيًّا أنَّ الصدقات والنذور الأوروبية ظلَّت تَرِد إلى الرهبان الفرنسيسكان في الأراضي المقدسة حتى نهاية العصور الوسطى، وذلك برعايةٍ وتأمينٍ من السُلطات الإسلامية المملوكية، مع مراعاة أنَّ ما وَرَدَ في المصادر من عطايا ومِنَح لم يكن مطروحًا ضمن قائمة الصدقات والمِنَح التي شملها عهد البابا ألكسندر الثالث والمقدمة للدير، وهذا يعني أنَّ ممتلكات الدير في الغرب الأوروبي كانت آخِذَةً في التنامي والتوسُّع من قِبَل الأوروبيين، وبرعاية وتأمين المماليك.

والثابت أنَّ الرهبان كانوا يحتفظون بسجلات لديهم تتضمَّن قوائم بأسماء كبار الشخصيات من الأمراء والنبلاء والفرسان من مختلف الجنسيات الذين زاروا أديرة بيت المقدس، وقدَّموا صدقات قَيِّمَة لدير جبل صهيون؛ إذ أشار أحد الرحَّالة إلى بعض هذه الأسماء، منهم الألماني

جون دوق باجيرن Bagern John، ووليام كونت William Count، ودوبولت دي هابسبرج، ومن الفرنسيين دي شاتو De chateau ، وبريان Brian حاكم ليون، وسالوبير جويد Salubir Jawid ، وأندريه دونجريك Andre Dongrek خادم الملك(٧١). ويتضح من هذه الأسماء أنها كانت ذات شأن، ومن أثرياء المجتمع الأوروبي آنذاك.

وفي الواقع لم تكن هِبَات وعطايا السادة في أوروبا وحدها هي مصدر دخلهم الوحيد، بل إنَّنا نلاحظ أنه في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أصبح الرهبان يعتمدون على المبالغ التي تَرِد إليهم عن طريق التجار الأوروبيين في كل من بيروت ودمشق وحماة والإسكندرية والقاهرة، وهو ما أشار إليه الرحَّالة بوم جارتن Baumgartin أثناء زيارته للقدس عام ١٥٠٧م بقوله: " إنَّ هؤلاء الرهبان أصبحوا يدينون بالكثير للبنادقة بفعل ما يُحَصِّلُونَه من كل سفينة عند إبحارها على كل دوكات ذهب، ولا شك في أنَّ هذا– بدوره– يُشكل مبلغًا كبيرًا، ثم يدفع البنادقة تلك المبالغ للرهبان الذين يعيشون في دير كانديا Candia، والذين يقومون بدورهم بتحويل تلك المبالغ إلى إخوانهم في بيت المقدس "(٧٢).

وكيفما كان الأمر، فإنَّ هذه الصدقات لم تُستَخدَم في سَدِّ احتياجات الرهبان المعيشية فحسب، بل لجأ الرهبان أيضًا إلى استخدامها في إعادة ترميم بعض الأديرة والكنائس التي تهدَّمَت، والشاهد على ذلك حينما قام رهبان الفرنسيسكان بترميم كنيسة القديس المخلص S.Sauveur المتهدمة بالقدس، وأنفقوا على ترميمها مبالغَ عن طريق الهبات والصدقات التي قدَّمها لهم التجار الأوروبيون(٧٣).

وعلى الرغم من ورود الصدقات والنذور النقدية على دير جبل صهيون، فلم يحظَ دير سانت كاترين بالمكانة ذاتها، إذ اشتملت هذه الصدقات على ما يُقدّمه بعض المسلمين والأقباط من الحُكَّام والمحكومين الذين ثبت أنهم قاموا بدورٍ بارزٍ في هذه الصدقات، ودلَّلَ على ذلك تلك الوثيقة المؤرَّخة في ٣ جمادى الآخر ٧٧٧هـ التي يتصدَّق فيها السُّلطان الأشرف

شعبان بن حسين (١٣٦٢– ١٣٧٦م/ ٧٦٤– ٧٧٨هـ) لرهبان دير سانت كاترين بإحدى وثلاثين شجرة زيتون، وما تُدِرُّه من أموال(٧٤). كما توجد وثيقة بمكتبة الدير وثيقة وقف بتاريخ ١٣٩٣م/ ٧٩٦هـ، باسم (المعلم سليمان بن بشارة الملكي الجابي)، والتي تَنُصُّ على:" أن يصرف ريع الوقف للفقراء والمساكين والزمنا والمقعدين من النصارى الملكيين المقيمين بدير طور سيناء على مر السنين والاعوام، فإن تعذر الصرف إلى من ذكر من الفقراء والمساكين بالدير المذكور صرف إلى الفقراء والمساكين من النصاري المقيمين بالقدس الشريف والواردين إليه"(٧٥).

ب– **الصدقات العينية:** وتتكوَّن من الحيوانات مثل الحمير والجمال، بالإضافة إلى القمح أو الدقيق لصناعة الخبز أو الزيت والفول(٧٦). وقد اكتفت الوثائق بذِكر اسم الصدقات العينية دون تحديد نوعها بما نصُّه:" بما يحضر اليهم من النصارى على سبيل الصدقة ...ومن المأكل والمشرب"(٧٧)، وأحيانًا تذكر كلمة "المغل" مثل "ومن جميع ما يصل إليهم من مغل وأصناف صادرًا وواردًا"(٧٨).

غير أننا نلتمس من بعض الوثائق أنَّ هذه الصدقات لم تكن جميعها تأتي من الغرب فحسب، فقد كان بعض مسيحيي الشرق يوقفون بعض الأوقاف على دير سانت كاترين، وهو ما أكَّدته بعض الوثائق: "وأن من الموقوف على الدير المذكور أشجار الزيتون بقرية كسا من عمل طرابلس المحروس"(٧٩). ولتأكيد ما ذهبنا إليه، نجد أنَّ عددًا من الوثائق تذكُر:" ولا يتعرض إلى ما يصل اليهم من النذور من البلاد الشامية والديار المصرية"(٨٠). ويتَّضِح مِمَّا سَبَقَ أنَّ مسيحيي مصر وبلاد الشام شاركوا في تقديم النذور والصدقات التي تُعين هؤلاء الرهبان على مَشَاقِّ الحياة.

ولا يفوتنا تسليط الضوء على إشارة عددٍ من الوثائق إلى أنَّ رهبان دير سانت كاترين كانوا يؤكّدون أنَّ هذه الصدقات والنذور لم يكونوا هم المستفيدين منها فقط، بل إنَّ المسلمين المارّين بالدير والعربان كان لهم نصيبٌ منها أيضًا، وذلك بما نَصُّه:" وهم بصدد تلقى من يرد عليهم من

المسلمين بالاكرام"[٨١]، وكذلك: "وقايمون بمن يرد عليهم من المنقطعين من الحجاج وغيرهم من المسلمين"[٨٢].

وفي ذات الصدد يذكر عددٌ من الرحَّالة الأوروبيين الذين قَدِمُوا إلى الشرق أنَّهم أعطوا الرهبان طواعيةً بعض الخبز والأرز ومأكولات أخرى[٨٣]، كما جرت العادة بين مختلف الطوائف المسيحية أنهم في حالة المرض ينذرون للكنائس والمعابد والأديرة زيتًا وشموعًا وبخورًا اعتقادًا منهم أنها تشفي المريض[٨٤].

ويُمكن القول بأنَّ هذه الصدقات مثَّلَت مصدر دخلٍ أساسيٍّ لهؤلاء الرهبان؛ فدومًا نجد الوثائق تذكر: "وليس لهم ما يقوم باودهم سوى الذي يحضر اليهم من صدقات النصارى من بلادهم التي يجهزوها اليهم، ولولا الصدقة عليهم الا كانوا قد تلفوا جوعًا"[٨٥]. وعلى الرغم من وجود هذه الصدقات، فإنَّها لم تكن كافيةً لرهبان دير سانت كاترين؛ لأنها لم تكن تأتي بشكل مستمر، وإنما بشكل متقطع، وعلى فترات زمنية متباعدة، على العكس من صدقات رهبان دير صهيون التي كانت تتدفَّق بشكل مستمر دون انقطاع ما جعلهم يعيشون في وضع اجتماعي جيد.

**ثالثًا: تأمين المماليك لواردات دير جبل صهيون وسانت كاترين**

عاش أهل الذمة في ظِلِّ الإسلام– عادةً– حياةً هادئةً مطمئنةً، وكانت لهم كنائسهم ومعابدهم الخاصة التي يُمارسون فيها عبادتهم بحُريَّة تامَّة دون أن يلحقهم أذى أو يصيبهم مكروه، فقد اشتهر عن المسلمين سِعَة صدرهم وتسامحهم الصَّادق في أمور الدين، وذلك يرجع إلى ما انطوى عليه الدين الإسلامي من روح التَّسامح والمحبَّة لاسيَّما مع أهل الذمة بشكل عام، والرهبان ورجال الدين بشكل خاص، وظهر ذلك جليًّا في عدم مساس أحد بما يؤول إليهم من صدقات ونذور، وهذا لا يعني أنَّه لم يكن هناك تجاوز– في بعض الأحيان– بحق هؤلاء، إلَّا أنَّ السُّلطات المملوكية الحاكمة لم تقف مكتوفة الأيدي تجاه هؤلاء المُعتدين، إذ كانت حريصةً على رَدعِهِم بتأكيد روح

التَّسامُح الإسلامية تجاه الرهبان بحمايتهم من أي جور؛ وذلك من خلال إصدار مراسيم لرعاية الرهبان وديرهم، وردع المُعتدين، وتأمين ما يصل إليهم من الصدقات والنذور.

وعلى الرغم مِمَّا كان يمُرُّ به الرهبان في دير سيناء من فقرٍ مُدقِع، فقد تعرَّضَت صدقاتهم أحيانًا للمُصادَرَة؛ إذ استولى عليها العربان(٨٦) المجاورون لأديرتهم، وذلك بما نَصُّه:" وقد تسلط عليهم جماعة من العربان النازلين بالقرب منهم ويدخلون عليهم ويشوشون عليهم وينهبون قوتهم من يدهم ويضربونهم "(٨٧).

وفي مرسوم آخر تم تحديد اسم القبيلة التي هاجمت الرهبان:" وقد تسلط عليهم اقواما من عربان أولاد علي(٨٨) بالأذية والضرر ويضربونهم وينهبون قوتهم واضر بذلك بحالهم "(٨٩).

ولم يتوقف الأمر عند حدِّ ذكر اسم القبيلة المعتدية، وإنما أحيانًا قد يُذكَر اسم مُقتَرِف الاعتداء، مثلما ذَكَرَت إحدى الوثائق بأنَّ:"حسن بن فضل ورزق بن حسين(٩٠)، وتكرر هذا الأمر في عام ١٤٧٠م/ ٨٧٥هـ" عندما هاجم أحمد بن عمران رهبان الدير واستولى على ما بيدهم من أموال وصدقات(٩١)".

والمُلاحَظ أنَّ العربان لم يكتفوا بمهاجمة الرهبان في الأديرة فحسب، بل تتبَّعوهم في كل أماكن عبادتهم مثل المغارات، والشاهد على ذلك ما ذَكَرَته إحدى الوثائق من أنَّ عربان أولاد علي قد هاجموا إحدى المغارات القريبة من دير سانت كاترين وصاروا يضربونهم ويجرحوهم بالبولاد(٩٢)، ويؤذونهم، ثم نهبوا ديورتهم واضروا بقوتهم وحالهم(٩٣). وأحيانًا كانت تصل تعديات العربان على الرهبان إلى القتل(٩٤).

كذلك تعرَّضت صدقات ونذور جبل صهيون هي الأخرى للمصادرة والاستيلاء عليها، لكن ليس من قِبَل العربان إنَّما من البريدية والخفراء والشادين بالمين(٩٥) والسواحل بالطرقات، وهو ما ذَكَرَته الوثائق بما نَصُّه:" ففي مرسوم ٩ شوال عام ٧٩٠هـ أنَّ رهبان دير صهيون منقطعين

في كنيستهم المذكورة يأكلوا الصدقة (يعتمدون عليها) ... وثم من البريدية مَن يتعرض اليهم بالأذية والضرر"، وكذلك يُقرأ من بين سطور مرسوم ٢٤ نوفمبر ١٤٢٧م/ ٤ صفر ٨٣١هـ، أنَّ الراهب الأفروا جوان بلوكو كبير طائفة (رهبان الفرنج الفرنسيسكان المُقيمين بالقدس الشريف ودير صهيون وبيت لحم[٩٦] وعين كارم[٩٧]) سعى لدى السُّلطان برسباي لإصدار هذا المرسوم راجيًا إيَّاه حماية النذور والصدقات من تعرُّضها للاستيلاء على يد الخفراء والشادين[٩٨]. ومَرَّةً أخرى تكرَّرت الاعتداءات، إذ يُشير مرسوم ٣٠ أكتوبر ١٤٦٦م/ ٢٨ صفر ٨٦٩هـ، إلى تعرُّض صدقات رهبان الفرنسيسكان للمصادرة على يد الخفراء والشادين[٩٩]، وكذلك جاء في المرسوم المؤرَّخ ٨ ذي القعدة ٨٧٦هـ أنَّ رهبان الفرنسيسكان طالبوا السُّلطان قايتباي باستصدار مرسوم يحميهم من هجمات الخفراء والشادين، فأصدر لهم مرسومًا جاء فيه:" ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيها أحد من الخفراء والشادين بالمين والسواحل والطرقات"[١٠٠].

ويُلاحَظ في كل الأمثلة السابقة أنَّ الاعتداءات التي تمَّت على الواردات القادمة من الغرب الأوروبي مرتبطة بعُمَّال الموانىء أو المشرفين على استقبال الوافدين من الغرب في الميناء (لعله ميناء يافا)، ومن ثَمَّ فهُم بشكلٍ أو بآخر يُمَثّلون إدارة الدولة، وعليه فالتُّهمة مُوَجَّهَة إلى السُلطة المملوكية بشكلٍ رسمي، ويدل على ذلك على أنَّ الرهبان لم يجدوا أمامهم مَن يُنصِفهم من هؤلاء سُوَى السُلطة المملوكية نفسها، لذا فقد كانوا يرجعون في كل مَرَّةٍ لرفع شكاواهم ومطالبهم للسُّلطان المملوكي ذاته. ولمَّا كان السَّلاطين المماليك قد حرصوا دائمًا على الاحتفاظ بعهودهم الموروثة، سُلطانًا بعد سُلطان، بحماية موارد الرهبان القادمة لهم من الغرب، فكانوا دائمًا يدعمون مطالبهم، ويأمرون دوائر العمل بوقف الاعتداءات، ويُجَدِّدُون الأوامر الخاصة بذلك.

وكيفما كان الأمر، يبدو أنَّ بعض هذه الاعتداءات والمصادرات كانت بمباركة من السُّلطات الحاكمة في مصر؛ وذلك لأسباب سياسية ردًّا على إغارات الفرنج من القبارصة

والكتلان على موانىء مصر والشام، وبخاصَّة ميناءا الإسكندرية وبيروت، فجَرَّاء إغارة أغسطس ١٤٢٢م/ شعبان ٨٢٥هـ سَقَطَ عددٌ من التجار والأهالي المسلمين في الأَسْر(١٠١)، ولهذا اضطُرَّ السُّلطان المملوكي برسباي (١٤٢١– ١٤٣٧م/ ٨٢٥–٨٤١هـ) إلى الرد على هذا التجرُّم بتطبيق مبدأ العقاب الجماعي على كل ما هو فرنجي، فأَمَرَ بالقبض على ثلاثة عشر من الحجَّاج الذين كانوا بفلسطين وقتذاك، وعلى جميع رهبان دير صهيون، وكذلك أَمَرَ بغلق كنيسة القيامة(١٠٢)، وتعرَّضت الصدقات والنذور للمصادرة، ولكنه لم يلبث أن أَمَرَ بالإفراج عنها، وبإعادة فتح كنيسة القيامة بعد تدخُّل البندقية وتعهُّدها بالضغط على فرسان الاسبتارية(١٠٣) والقبارصة لِرَدِّ هؤلاء الأسرى وما استولوا عليه من متاجر(١٠٤).

غير أنَّ القراصنة استأنفوا غاراتهم في عام ١٤٢٤م/ ٨٢٨هـ على مصر وبلاد الشام، وفي هذه المَرَّة صَبَّ السُّلطان برسباي غَضَبَه على القبارصة والكتلان، ونال الرهبان الفرنسيسكان جانبًا من هذا الانتقام إذ أَمَرَ بالقبض عليهم وسجنهم(١٠٥).

وبالنظر إلى تاريخ الأحداث من فِعلٍ ورَدِّ فِعل حين تَمَّ الاعتداء من القراصنة على السواحل الشامية، وما تلاه من خطوة انتقامية من قِبَل السُّلطة المملوكية يتبيَّن أنَّ هناك تراجعًا في موقف السُّلطة المملوكية الانتقامي، وذلك استجابةً لقدوم رئيس دير جبل صهيون إلى المقام السُّلطاني، وإلحاحه بالتوقُّف عما اتَّخَذَه من مواقف انتقامية ضد الفرنج الرهبان، ويبدو أنَّ السُّلطان برسباي تدارك الأمر بعد دراسته، ووجد أنه ليس من اللائق الخلط بين الأمور، ومعاقبة الرهبان على جريرةٍ لم يفعلوها؛ ولذا استصدر مرسومًا بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٤٢٧م/ ٤ صفر ٨٣١هـ، جاء فيه الأمر بإعادة الصدقات والنذور للرهبان:" ولا يقطع أحد لهم مصانعة ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيها أحد ..."(١٠٦). ما يؤكِّد على تراجُع رسمي من قِبَل الدولة تجاه الرهبان.

غير أنَّه لم يمُر وقت طويل حتى تكرَّرَت غارات القراصنة على أملاك الدولة المملوكية؛ ففي ديسمبر ١٤٦٣م/ جمادى الآخرة ٨٦٨هـ، قام عددٌ من فرسان الاسبتارية بالاستيلاء على ثلاث سُفن تابعة لجمهورية البندقية كانت مُحَمَّلَة بالمتاجر لبعض التجار المراكشيين، وذلك أثناء إبحارها قرب جزيرة رودس وهي في طريقها من الإسكندرية إلى المغرب الأقصى(١٠٧)، فاستشاط السُّلطان خُشقدم (١٤٦٠- ١٤٦٧م/ ٨٦٥- ٨٧٢هـ) غضبًا، وأَمَرَ بالقبض على جميع تجار البنادقة المُقيمين بسائر المملكة، مع مصادرة أموالهم وبضائعهم، ولم يسلم الرهبان الفرنسيسكان من هذه الإجراءات، وتمَّ غلق كنيستهم، ومصادرة صدقاتهم، إلَّا أنَّ دوق البندقية تدخَّلَ لدى رئيس الفرسان مُستَخدِمًا القوَّة معه حتى تمَّ إرجاع هؤلاء الأَسْرَى ومعهم أموالهم(١٠٨)، فانتظر رهبان الفرنسيسكان حتى هدأت الأمور ليطلبوا من السُّلطان خُشقدم استصدار مرسوم يُحافِظ لهم على صدقاتهم، فأبدى السُّلطان المملوكي موافقته، وأصدر مرسومَه في ٣٠ أكتوبر ١٤٦٦م/ ٢٨ صفر ٨٦٩هـ، أي بعد مرور عامين أو يزيد بقليل جاء فيه:" ولا يقطع لهم أحد مصانعة، ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيها أحد ..."(١٠٩).

ويتضح مِمَّا سبق أنَّ سلاطين المماليك لم يكونوا يملكون وسيلة للمطالبة باستعادة أسرى المسلمين والأموال والمتاجر التي كانت تقع غنيمةً في أيدي هؤلاء المُتَجَرِّمَة سُوَى الالتجاء إلى تطبيق مبدأ المسئولية الجماعية إزاء جميع قناصل الفرنج وتجارهم المقيمين بدولتهم، فكانوا يأمرون بالقبض عليهم، والتحفُّظ على أموالهم وبضائعهم، وأحيانًا أخرى، بعد أن تكون قد أعوَزتهم السُّبُل والوسائل، كانوا يلجأون إلى القبض على الرهبان الفرنسيسكان المقيمين بدير صهيون بالقدس، وتهديد الفرنج بغلق كنيسة القيامة في وجوه حجَّاجهم، كما كانوا يُكَلِّفون هؤلاء الرهبان بإرسال بعضهم كسفراء لدى البابوات وملوك الفرنج كنوع من الضغط السياسي عليهم، وكانت السُّلطات المملوكية مُجبَرَةً على الالتجاء إلى هذه الإجراءات؛ لأنها لم تكن تتبادل التمثيل السياسي مع دول الفرنج وجمهورياتهم، فليست لها مصالح خاصة بها تدعوها إلى ذلك،

وإنما كان الأمر على عكس ذلك، فهذه الدول والجمهوريات هي التي كانت تسعى بأموالها وتجارها وقناصلها إلى أسواق مصر والشام حرصًا على المكاسب الباهظة التي كانت تجبيها من الاتجار معها، كما أنها أرادت للرهبان الفرنسيسكان أن يكونوا أداةً لتحقيق الأهداف الصليبية فزَجَّت بهم في هذا المُعتَرَك السياسي(١١٠).

ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى بُعدٍ سياسيٍّ مهم ربما لَطَّخَ صورة الرهبان الذهنية لدى الحُكَّام المسلمين ألا وهو اتهامهم بتنفيذ أعمال عدائية اتَّخذت شكل الجاسوسية، إذ عُرِفَ عنهم الاستنجاد بملوك الفرنج للذَوْدِ عنهم، حاثّين إيَّاهم على الإسراع بجهودهم في تجهيز حملة مقدسة لاسترداد بيت المقدس، ولإنقاذ المقدسات المسيحية. وقد جَنَّدوا أنفسهم لخدمة هذا الهدف الديني الأكبر مُستَغِّلين مسوح الرهبان، وحُريَّة الإقامة والتنقُّل التي يتمتَّعون بها في فلسطين، وكان منهم الرسل الذين أوفدهم البابوات لدى ملوك الشرق المسيحيين يدعونهم إلى التكاتف مع إخوانهم في الغرب على تنفيذ مشروعاتهم الصليبية(١١١). ورغم سياسة التَّسامُح المملوكية معهم، فقد كانت تُسيطر على قلوبهم وعقولهم الروح الصليبية بما تنطوي عليه من كراهية عمياء للمسلمين، وتعطُّش للانتقام منهم، ومن ثَمَّ فقد دفعهم التعصُّب الديني إلى وجوب اتخاذ إجراء انتقامي عاجل وسريع ضد المسلمين الذي يُمكن أن تمتدَّ إليهم أيدي ملوك الفرنج بالأذى والاضطهاد والتعذيب كنوع من المعاملة بالمِثل، والضغط السياسي على السُّلطات المملوكية؛ وذلك بالإيعاز للقراصنة بشَنِّ غاراتهم ضد الموانىء المصرية والشامية، وهذا يُسَوِّغ عداء السُّلطات المملوكية لهم رَدعًا لتَصَرُّفِهِم(١١٢).

وينبغي ألا يغيب عنا أن نُضِيفَ باعثًا جديدًا إلى ما كان يعترض الصدقات والنذور من عوائق حتى تصل إلى الرهبان، ذلك أنَّ العصور الوسطى عُرِفَت بعصر الإيمان، حيث احتدمت الصدامات الفكرية والروحية الناشئة عن الدين، لذا وقعت بعض الحوادث الفردية من العامَّة ومن بعض المماليك من التشويش والاعتداء على رهبان أديرة القدس، وهو ما استَغَلَّه الرهبان

لتقديم شكوى إلى السُّلطان المملوكي لحمايتهم، وحماية أموالهم والصدقات التي تأتي إليهم، والشاهد على ذلك ما حَدَثَ في عام ١٤٧٢م/ ٨٧٦هـ حينما تقدَّمَ رهبان الفرنسيسكان إلى السُّلطان قايتباي يستنجدون به ضد العامة وبعض المماليك، عندئذٍ استجاب السُّلطان قايتباي لمطلبهم، فأصدَرَ المرسوم المؤرَّخ في ١٧ أبريل ١٤٧٢م/ ٨ ذي القعدة ٨٧٦هـ يؤكّد فيه على:" ألا يقطع لهم مصانعة ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيها ..."(١١٣).

وتجدر الإشارة إلى مجال آخر كان الرهبان يستغلون الصدقات والنذور في إتمامه، فمن المعروف أنَّ أهل الذمة في الدولة الإسلامية كان عليهم أخذ تراخيص خاصة بإقامة أبنيتهم، وموافقات للقيام بترميمها(١١٤)، وعليه سعى رئيس دير الفرنسيسكان لاستجداء السُلطة الحاكمة في تجديد ما بيدهم من مراسيم حتى تُحافظ لهم على الصدقات والنذور التي تصل إليهم، فقد حدث في عام ١٤٤٦م/ ٨٥٠هـ أن تَهَدَّمَت بعض الأماكن بدير بيت لحم بسبب كثرة الأمطار، فاستغلَّ الرهبان ذلك في مطلبهم بألَّا يتعرَّض أحد إلى الصدقة التي تحضر إليهم، وقد ثبت ذلك في المرسوم المؤرَّخ في ٢٨ أبريل ١٤٤٣م/ ١١ ذي القعدة سنة ٨٥١هـ(١١٥).

وإجمالًا إذا ما أردنا تناول الدور الذي لعبه حُكَّام المماليك في تأمين واردات الرهبان من الصدقات والنذور الغربية، فقد اعتاد السَّلاطين المماليك أن يُجَدِّدُوا مراسيم السابقين منهم باستمرارها وفقًا للمتطلبات السياسية والاجتماعية الواقعة، ولذا نجدها متشابهة في المنح والتأمين، وليست متطابقة ما يَدُلُّ على التنوُّع في محاولة دعم الرهبان، فقد اعتاد الرهبان الاستنجاد بالدولة المملوكية طالبين وُدَّها لمحاولة وقف تعديات المُعتدين بحقهم، فكانت السُّلطات الحاكمة تُخرج عِدَّة مراسيم سُلطانية تُأَمِّنهم على حياتهم، حيث نَصَّت هذه المراسيم على ألَّا يتعرَّض أحدٌ لصدقاتهم وأموالهم، وهو ما أكَّدته عِدَّة مراسيم نذكر منها مرسوم السُّلطان خُشقدم المؤرَّخ بـ ٢٩ يوليو ١٤٦٥م/ ١٥ ذو الحجة عام ٨٧٠هـ، والذي نَصَّ على" ومرسومنا لهم أن يتقدموا بمنع العربان المذكورين من التعرض لهم، ومن الدخول عليهم بديرهم وان لا

يلزموا بما لا يلزمهم شرعا ومقابلتهم بالعدل الشريف وكف أسباب الأذى والضرر عنهم"(١١٦)، ولم تَمُرّ أربَع سنوات حتى تكرَّرَ هذا المرسوم في عام ١٤٦٩م/ ٨٧٤هـ بما نَصُّه" واضر ذلك بحالهم ومرسومنا لهم أن يتقدموا بمنع العربان المذكورين إلى ديرهم بأذية أو ضرر أو تشويش أو باحداث حادث أو بتجديد مظلمة أو بقطع مصانعة وكتابه قسامة شريفة أنهم لا يدخلوا ديرهم ولا يتعرضوا إلى بساتينهم ولا يشوشو عليهم"(١١٧)، وكذلك في عام ١٤٧١م/ ٨٧٦هـ" وان لا يطلب فلاحي الرهبان بقطيعة على طينهم الذي بطحا المرج ولا يتعرض اليهم ما يصلهم من النذور من البلاد الشامية والديار المصرية وغيرها من جميعها يصل اليهم من مغل..." "(١١٨). وحتى لا يطول الشَّرح فقد تكرَّرَت هذه المراسيم في أعوام (٨٧٧، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٤، ٨٩٥هـ)(١١٩).

وما لبث أن بلغ الكرم المملوكي لديريّ (جبل صهيون وسانت كاترين) مداه إذ عَلِمنَا أنَّ الدولة المملوكية حالت دون فرض أية ضريبة على رهبان الديريْن، في حين كان المجتمع المملوكي ذاته بعامة يدفع الضرائب إذ وَرَدَ في أحد المراسيم إنَّ: " ... من المشمول بنظرنا السعيد جماعة الرهبان والراهبات الملكيين واليعاقبة لا يلزموا الرهبان النصاري والرهبانات النصرانيات اليعاقبة والملكين بموجب ولا بخفر ولا مظلم عند دخولهم إلى قمامة القدس الشريف أسوة برهبان الكرج والحبوش ولا عند دخولهم إلى ميناء يافا، ولا عند خروجهم من ميناء يافا، ولاعند خروجهم من ميناء يافا المذكورة ولا في مدينة غزة ولا في رملة"(١٢٠)، وتأمر الوثيقة بـ" ... مسامحة الرهبان والراهبات من طائفة الروم والقبط من الموجب بالاعمال المذكورة على جارى عادتهم وألا يقطع لهم مصانعة ولا تمنع الصدقة المحضرة اليهم من بلادهم ولا يعارضهم فيه..."(١٢١).

كما تضمَّنت المراسيم التي أصدرها السلاطين المماليك بحق الرهبان إعفاء الصدقات والنذور من الضرائب، وأن تكون خالصة للرهبان دون أي انتقاص، وهو ما أشارت إليه

المراسيم في أكثر من موضع، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مرسوم السُّلطان الغوري إلى النوَّاب والمباشرين بدمياط بما نصّه: " ... بان يسامحوا بما يجب عليهم من الحقوق الديوانية على الاصناف الواصلة اليهم من النذور والصدقات بالبحر الملح من ثغري إسكندرية ودمياط المحروسين وساير الثغور الاسلامية"(١٢٢).

وهكذا استطاع الرهبان الحصول على كثير من الامتيازات وخصوصًا في مجال الإعفاء من الضرائب بأشكالها المختلفة، وربما كان السبب في هذه الإعفاءات أنَّ الرهبان كانوا يعيشون في مكان منعزل من شبه جزيرة سيناء، وفي بقعة جرداء في القدس مِمَّا دَفَعَ السُّلطات الحاكمة في مصر إلى إعفائهم من الضرائب المختلفة، وهذه الإعفاءات تشهد بها الدواوين التي وَرَدَ ذِكرها في عددٍ من المراسيم، وكانت هذه الإعفاءات تتمثَّل في الإعفاءات الجمركيَّة من الثغور والموانىء المصرية والشامية، بل والموانىء الإسلامية بوجهٍ عام على ما يَرِد إليهم من الريوع والصدقات، سواءً عن طريق البحر الملح أو العذب على حَدِّ تعبيرهم، بل لقد استطاع الرهبان الحصول على الإعفاءات اللازمة لهم قبل سفرهم إلى الثغور والموانىء ليُبرزوها عند استلامهم لنذورهم وصدقاتهم(١٢٣).

ويتَّضِح من بعض الوثائق أنَّ الرهبان كانوا يُسارعون بالشكوى كلَّما فَرَضَ عليهم الموظفون ضريبةً ما مهما كانت تافهة(١٢٤)، وطوال عصر المماليك كانت التعليمات تصدر بإعفاء النصارى من الرهبان من أية ضرائب على ما يَرِد إليهم من الخارج في شكل صدقات أو نذور(١٢٥)، كما أنَّ الرهبان كان يتودَّدون إلى السَّلاطين المماليك لحمايتهم من بطش العربان، وكلَّما قدم حاكم مملوكي جديد بادروا إلى تجديد ما بِيَدِهِم من مراسيم سُلطانية لضمان إقرار ما يتمتَّعون به في الأراضي المسيحية المقدسة، أو في دير سانت كاترين(١٢٦) من امتيازات وإعفاءات وحقوق تكفل لهم حرية التعبُّد، وتأمين أرواحهم وأموالهم. وعلى الرغم من تجديد هذه المراسيم السلطانية، فقد كان مجرَّد تقليدٍ جرى الرهبان على اتِّبَاعِه في بداية عهد كل سُلطان، وتدل هذه المراسيم وهذه الحجج على مدى ما تَمَتَّعَ به الرهبان من رعاية وأمان وعدل سواء من قِبَل

السُّلطات المحلية بالقدس، أو من قِبَل السُّلطات المركزية بالقاهرة، كما أنَّ جميع هذه المراسيم السُّلطانية الممنوحة لهم ليست سُوَى صورةٍ منسوخةٍ، الواحدة عن الأخرى، تُكَرِّر الامتيازات والحقوق نفسها، وتحوي المواد والبنود ذاتها(١٢٧).

وهناك ما يُمكِن إضافته بشأن ديريّ (جبل صهيون وسانت كاترين)، فإلى أي حَدٍ تأثَّرت حياة الرهبان إيجابًا بالصدقات والنذور؟

لا شكَّ في أن صدقات الغرب الأوروبي قد لَعِبَت دورًا مؤثرًا في حياة رهبان جبل صهيون؛ حيث غيَّرت حياتهم من فَقرٍ إلى غِنًى ورَغَدٍ من العيش بسبب تلك الأموال، فضلاً عمَّا نالوه من عطف البابوية عليهم، وتأييد ملوك الغرب الفرنجي لهم في ذلك الوقت، حيث خَصَّصُوا لهم الكثير من الممتلكات التي كان ريعها يأتي سنويًّا بشكل ثابت، وليس أدل على تلك السعة من العيش مِمَّا يرويه لنا الأب سوريانو من حِرص بعض رؤساء الطائفة– بمن فيهم هو– على أن يشتروا بعض المنازل والأراضي المُحيطة بالدير الخاص بهم في جبل صهيون(١٢٨)، وكذلك ما كانوا يُنفقونه من أموال كثيرة للعناية بالأماكن التي آلَت إليهم من كنائس وأديرة، وعلى المستشفى المُخَصَّص للغرباء(١٢٩)، بل كانت مصدرَ دَخلٍ لهم وقت العَوَز والاحتياج.

أمَّا رهبان دير سانت كاترين فكانوا في وضع مختلف لقلَّة مصادر دخلهم، وعدم استمرارية ما يصل إليهم من صدقات ونذور سواء خارجيًّا (من الغرب)، أو داخليًّا (من الشرق)، وربما يكون ذلك قد دفع بعضهم إلى المُطالَبة بالأموال علانيةً نظير أية خدمة تُقَدَّم لرُوَّاد الدير؛ فقد ذَكَرَ الرحَّالة فليكس فابري أنَّ رهبان دير سانت كاترين كانوا يطلبون الذهب والفضة من الحجَّاج، وأنهم كانوا لا يعطون الحجَّاج شربةً من الماء المُثَلَّج، ولا قطعة من الجلد لإصلاح نعالهم، ولا قطعة من الملابس القديمة دون مقابل، وذلك إلى درجة أنهم كانوا يبيعون أو يؤجّرون لهم العصي التي استندوا عليها عند صعودهم جبل سيناء وجبل القديسة كاترين(١٣٠).

**رابعًا: فهرسة الوثائق ونشرها.**

**الوثيقة الأولى:**

١-الفهرسة الشكلية:

- رقم الوثيقة: ٧٩
- مصدر الوثيقة: صورة على ميكروفيلم بمكتبة الكونجرس عن الأصل المحفوظ بمكتبة الدير تحت رقم ٥٠١٤ عربي Microfilm 5014 Arabic
- المادة المكتوب عليها: ورق
- المادة المكتوب بها: حبر أسود
- نوع الخط: خط الرقاع
- الأبعاد :٥ , ٢٠٧×٥ , ١٦
- عدد الأسطر:٣٤
- حالة الوثيقة: جيدة

٢-الفهرسة الموضوعية:

- موضوع الوثيقة: مرسوم صادر عن السُّلطان قايتباي إلى مشايخ العربان بالشرقية لإعفاء الرهبان والرفق بهم وعدم التعرُّض إلى صدقاتهم ونذورهم.
- التاريخ: ١٣ ربيع الآخر ٨٧٤هـ.

**نصّ الوثيقة**

**أ- طرة المرسوم:**

١- الاسم الشريف

٢-مرسوم شريف بان يتقدم كل واقف عليه من مجلس (الامير الاجل)

٣-شمس الدين محمد بن عساف والشيخ شرف الدين موسى بن سبيع شيخ العرب بالشرقية اعزهما الله تعالى

٤-باء تماد ماتضمنه هذا المرسوم الشريف والعمل به على ما شرح فيه

**ثانيًا: النص الرئيس:**

١-بسم الله الرحمن الرحيم

٢- رسم بالامر الشريف العالى المولوي

٣-قايتباي

٤-السلطاني الملكى الاشرفي السيفي

٥-اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه في الآفاق وصرفه ان

٦-يسطر هذا المرسوم الشريف الى كل واقف عليه من

٧-مجلس الاميرين الاجلين شمس الدين محمد بن عساف والشيخ شرف الدين موسى

٨-ابن سبيع مشايخ العربان بالشرقية اعزهما الله تعالى نعلمهم ان جماعة

٩- الرهبان بدير طور سينا انهوا لمواقفنا الشريفة انهم صعاليك

١٠-ومنقطعين بديرهم ومنهم عميان ومكسحين وما لهم ما يقتاتون به

١١-الا من صدقات النصارى وقد تسلط عليهم اقواما من عربان

١٢-اولاد على بالاذية والضرر ويضربوهم ويجرحوهم وينهبون

١٣-قوتهم واضر ذلك بحالهم ومرسومنا لهم ان يتقدموا بمنع العربان

١٤-المذكورين من التعرض الى الرهبان المذكورين والى ديرهم باذية

١٥-او ضرر او تشويش او باحداث حادث او بتجديد مظلمة او بقطع

١٦-مصانعة وكتابة قسامة شريفة انهم لا يدخلوا ديرهم ولا

١٧- يتعرضوا الى بساتينهم ولا يشوشوا عليهم من جملة العربان الذى

١٨-جرحوا الرهبان المذكورين حسن بن فضل ورزق بن حسين

١٩–ورفقهم فيتقدموا بطلب المذكورين ومقابلتهم على ما وقع منهم في

٢٠–حق المذكورين بما يستحقوه وردعهم على ذلك ومنعهم من التعرض الى

٢١–المذكورين وكف اسباب الاذى والضرر عنهم قولا واحدا

٢٢–وامرا حازما من غير رخصة ولا تهاون ولا اهمال في ذلك

٢٣–ورفع يد عبدالقادر بن عليق واستمرار احمد بن عمران على جارى عادته

٢٤–والمراسيم الشريفة تؤكد ذلك في ذلك غاية التاكيد والله الموفق

٢٥– ان شاء الله تعالى

٢٦– كتب في ثالث عشر ربيع الآخر

٢٧– سنة أربعة وسبعين وثمانمائة

٢٨–حسب المرسوم الشريف

٢٩– الحمد لله وحدهاللهم صلى وسلم وبارك على سائر الانبياء والمرسلين

٣٠–حسبنا الله تعالى

**الوثيقة الثانية:**

١–الفهرسة الشكلية:

- رقم الوثيقة: ٨١
- مصدر الوثيقة: صورة على ميكروفيلم بمكتبة الكونجرس عن الأصل المحفوظ بمكتبة الدير تحت رقم ٥٠١٤ عربي Microfilm 5014 Arabic
- المادة المكتوب عليها: ورق
- المادة المكتوب بها: حبر أسود
- نوع الخط: خط الرقاع
- الأبعاد : ٢٣٠×٥ , ١٦

- عدد الأسطر: ٣٠
- حالة الوثيقة: جيدة

٢-الفهرسة الموضوعية:

- موضوع الوثيقة: مرسوم السُّلطان قانصوه الغوري إلى النائب والمباشرين بدمياط لمسامحة الرهبان من الحقوق الديوانية على النذور والصدقات الواردة اليهم.
- التاريخ: ١٠صفر سنة ٩١٠هـ.

**نَصُّ الوثيقة**

**أ- طرة المرسوم:**

١-الاسم الشريف

٢- مرسوم شريف بان يتقدم كل واقف عليه من النايب بثغر دمياط

٣-والمباشرين به أعزهم الله تعالى باعتماد ما تضمنه هذا المرسوم الشريف

٤- والعمل به على ما شرح فيه

**ثانيًا: النص الرئيس:**

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- رسم بالامر الشريف العالى المولوي

٣- قانصوه

٤- السلطان الملكى الاشرفي السيفي

٥- اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرفه ان يسطر هذا

٦- المرسوم الشريف الى كل واقف عليه من النايب والمباشرين

٧- بثغر دمياط المحروس اعزهم الله تعالى يتضمن اعلامهم ان جماعة الرهبان

٨- المقيمين بدير طور سينا انهوا لمواقفنا الشريفة ان بايديهم مربعات

٩- ومراسيم شريفة من السعيد الشهيد الاشرف قايتباي سقى الله تعالى عهده

١٠-بان يسامحوا بما يجب عليهم من الحقوق الديوانية

١١-على الاصناف الواصلة اليهم من النذور والصدقات

١٢-بالبحر الملح من ثغري سكندرية ودمياط المحروسين وساير الثغور الاسلامية

١٣-بالديار المصرية والبلاد الشامية صادرا وواردا وان

١٤-تضاعف الوصية بهم وبجماعتهم وقصادهم ومنع من يتعرض اليهم

١٥-او الى احد قصادهم باذية او ضرر او تشويش بغير طريق

١٦-ومرسومنا لهم ان يتقدموا باجرايهم في ذلك على جاري عادتهم

١٧-المستمرة الحكم حملا في ذلك على ما بيدهم من المربعات الشريفة

١٨-والمرسوم الشريف الاشرفي قايتباي سقى الله تعالى عهده

١٩-المورخ بثامن عشر شهر الله المحرم الحرام سنة تسعين وثمانماية قولا واحدا

٢٠-وامرا جازما ومراسيمنا الشريفة توكد ذلك في ذلك غاية التاكيد

٢١-فيعلموه ويعتمدوه والله تعالى الموفق بمنه وكرمه

٢٢- ان شاء الله تعالى

٢٣-كتب في عاشر شهر صفر الاغر

٢٤-سنة عشرة وتسعمايه

٢٥-حسب المرسوم الشريف

٢٦-والحمد لله وحده وصلوته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

**الوثيقة الثالثة**

**الفهرسة الشكلية:**

- رقم الوثيقة: ١٠٠
- مصدر الوثيقة: صورة على ميكروفيلم بمكتبة الكونجرس عن الأصل المحفوظ بمكتبة الدير تحت رقم ٥٠١٤ عربي Microfilm 5014 Arabic
- المادة المكتوب عليها: ورق
- المادة المكتوب بها: حبر أسود
- نوع الخط: خط الرقاع
- الأبعاد: ٣٠٥×١٦
- عدد الأسطر: أربعة وأربعون سطرًا.
- حالة الوثيقة: بحالة جيدة

**الفهرسة الموضوعية:**

- موضوع الوثيقة: مرسوم صادر عن السُّلطان طومان باي إلى النواب والنظار والمباشرين والحكام وولاة الأمور بثغر دمياط لاعفاء الرهبان من الحقوق الديوانية لما يرد اليهم من الصدقات والنذور.
- التاريخ: ١٩ ذى القعدة ٩٢٢هـ/ ١٠ سبتمبر١٥١٦م.

**نَصُّ المرسوم**

**طرة المرسوم:**

١-الاسم الشريف

٢- مرسوم شريف بان يتقدم كل واقف عليه من النواب والنظار

٣-والمباشرين والحكام وولاة الامور بثغر دمياط المحروس اعزهم الله تعالى

٤-اعتماد ما تضمنه هذا المرسوم الشريف والعمل به على ما شرح فيه

**ثانيًا: النَصُّ الرئيس:**

١-بسم الله الرحمن الرحيم

٢-رسم بالامر الشريف العالى المولوي

٣-طومان باي

٤-السلطان الملكي الاشرفي السيفي

٥-اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرفه ان يسطر هذا

٦-المرسوم الشريف الى كل واقف عليه من النواب والنظار والمباشرين

٧-والحكام وولاة امور الاسلام بثغر دمياط المحروس اعزهم الله تعالى

٨-يعلمهم ان قصة رفعت لدى حضرتنا الشريفة باسم الرهبان

٩-المقيمين بدير طور سينا انهوا فيها ان بايديهم مربعا شريفا اشرفيا

١٠-قايتباى تأريخه عاشر ذى قعدة الحرام سنة سبع وثمانين وثمانمائه بان يسامحوا

١١-بما يجب من الحقوق الديوانية على الاصناف الواصلة اليهم من

١٢-النذورة والصدقات بالبحر الملح من ثغري اسكندرية ودمياط المحروسين

١٣-وسائر الثغور الاسلامية بالديار المصرية والبلاد الشامية صادرا ووارداً

١٤-وان تضاعف الوصية بهم وبحمايتهم وقصادهم ومنع من يتعرض

١٥- اليهم او الى احد من قصادهم باذية او ضرر او تشويش بغير طريق

١٦-وبمعنى ذلك مرسوما شريفا ايضا وان بايديهم مربعا شريفا اشرفيا

١٧-غوريا مضمونه ان تسامح الرهبان القاطنين بطور سينا وجبل

١٨-المناجاة عما يحضر اليهم من النصارى التى يحضر اليهم من طريق

١٩- البحر الملح الى الثغور الاسلامية والى اسكندرية ودمياط وبولاق

٢٠-من الاكل والشرب وما يقوم باودهم بما على ذلك من مكس

٢١-وعشور واحكام وغير ذلك من طريق البحر الملح والعذب وغيرهما صادرا

٢٢–ووراداً ولا يعارضوا فيما يحضر اليهم حملا على ما بايديهم

٢٣–من المراسيم الشريفة واجرائهم على جارى عوائدهم في ذلك من قديم الزمان

٢٤–مؤرخ المربع المشار اليه بسادس عشري شعبان سنة عشرة وتسعمائة

٢٥–ومرسومان شريفان غوريان بالعمل بذلك واعتماد حكمه ومرسومنا

٢٦– لهم ان يتقدموا باجراء المذكورين في ذلك على جاري عادتهم المستمرة الحكم

٢٧– الى آخر وقت ومنع من يعارضهم في ذلك بغير عادة والعمل بما بايديهم

٢٨– من المربعات والمراسيم الشريفة من الملوك السالفة وعدم الخروج عنها

٢٩– والوصية بهم وكف اسباب الاذى والضرر عنهم من غير تهاون ولا اهمال قولا واحدا

٣٠– وامرا جازما ومراسيمنا الشريفة تؤكد فى ذلك غاية التاكيد وليعتمد هذا

٣١–المرسوم الشريف كل واقف عليه وسامع وناظر اليه وليعمل

٣٢–بمضمونه ومقتضاه من غير عدول عن لفظه ولا خروج عن معناه

٣٣–والخط الشريف اعلاه الله تعالى وشرفه اعلاه هو الحجة بفحواه

٣٤– ان شاء الله تعالى

٣٥– كتب في تاسع عشر شهر ذى القعدة الحرام

٣٦–سنة اثنين وعشرين وتسعمائة

٣٧– حسب المرسوم الشريف

٣٨– والحمد () اللهم صلى وسلم على اشرف الخلق سيدنا محمد وآله وصحبه التابعين

٣٩–وحسبنا الله وكفي

٤٠–خير

**ملحق رقم (٤) وثيقة هنري الثامن ملك انجلترا لدير الفرنسيسكان عام ١٥١٦م.**

"هنري بفضل الله، ملك انجلترا وفرنسا وسيد إيرلندا إلى رجالنا الأحباء الموقرين والمتدينين والأب حافظ الأخوة، رتبة قاصري المراقبة المقدسة الساكنين عند قبر ربنا: سلام"

" الارتباط الرقيق الذى أثير منا في طفولتنا الحياة الانجيلية التى يعيشونها، وأعمالكم المتواصلة في كرم الرب، يدفعننا إلى تقديم مساعدتنا لكم والمساهمة في دعم الصروح المقدسة وأكثر من ذلك بكثير لأنه بحماسة تفوق حماسة الأخرين في الأماكن التى تتواجدون فيها، تجعلونها مهنة استقبال الحجَّاج واعانتهم والقيام بالعديد من الأعمال الخيرية الأخري فانكم تجتهدون في تزيين وتمجيد الاماكن المقدسة التي رشها الرب بدمه من أجل خلاصنا ولاسيما قبره المقدس بالمزامير والتسابيح وذبائح التسبيح الدائمة دليل على قيامتنا المستقبلية. وأخيرا لانه عليكم أن تتحملوا كل يوم الجراح والاهانات والعذاب ونتيجة لذلك لكي تتمكنوا من تحمل هذه المعاناة بسرور أكبر وتكرسوا أنفسكم بحماس أكثر للصلاة وغيرها من الأعمال الصالحة ولكي تنالوا مكافأة عظيمة في السماء وذلك يجب أن تكونوا على وعٍ أننا نمنحكم ونخصص لكم من خلال رسالتنا هذه زكاة أو صدقة سنوية قدرها ألف دوكات ذهبية أو ما يعادلها ، لتستمروا في أرادتنا ورضانا والتى بموجب أمرنا ستبدأون في القيام باستقبالها في رودوس بعد ... التالي من يدي السيد الأكبر لرودوس وهكذا من سنة لأخرى بعد العيد المذكور دائما كما هو موضح أعلاه وفقا لارداتنا ورضانا"

" ولتحقيق هذه الغاية ستذهبون إلى سيد رودوس الكبير الذي نلجأ إلى لطفه ومساعيه الحميدة للحصول على هذه الدفعة، وسوف تصلون إلى العلي من أجلنا"

" إيمانا وشهادة بهذه الصدقات الحالية وقعنا بايدينا شهادة خطاباتنا وأمرنا بتعزيزها بوضع ختمنا الشخصي"

" أعطى في قصرنا في جرينتش في الثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٥١٦م وفي الثامن من حكمنا "

- الملك هنري
- وقعت إلى الاسفل الاصل المكتوب اندرياس هامون
- الأصل المكتوب على المخطوطة الورقية موجود في أرشيفات دير القديس إيذيدور في روما.

هذه الرسالة كتبت باللاتينية لكن ...قام بنقلها إلى اللغة الإنجليزية.

**الخاتمة:**

**ناقشت الدراسة بعض القضايا المهمة ذات الصلة بالموضوع وتوصَّلَت إلى بعض النتائج المهمة:**

- ناقشت الدراسة أهمية العلاقات بين الشرق والغرب فيما يخُصُّ الجانب الإيجابي، والمقصود به تلك الصدقات التي استمرَّت في الورود من أوروبا بموافقةٍ من السُلطة المملوكية، وتسهيلات ومراسيم تُبيح ذلك وتُسَهّله.
- كما أوضحت الدراسة أنَّ العلاقة بين السُّلطات المملوكية الحاكمة وبين الرهبان كانت جيدة في أغلب الأوقات، مع وجود فترات محدودة شهدت صورًا متنوعة من اضطهاد السُّلطات المملوكية لهم، وكان ذلك رَدَّة فِعل نتيجة إغارات الإفرنج على السواحل الإسلامية، فتَمَّ استخدام الرهبان كأداة ضغط على هؤلاء المُتَجَرِّمَة، بالإضافة إلى بعض تعديات العربان القاطنين بالقرب منهم، ومضايقات بعض البريدية والخفراء بالسواحل والطرقات لمحاولة ابتزازهم ماديًّا.
- كشفت الدراسة عن أنَّ الرهبان كانوا يتذمَّرون ويضجرون لأتفه الأسباب وأقلها، ويبعثون بالشكاوى للسُّلطات المملوكية، وهو ما ذَكَرَته الدراسة، ولعلَّ ذلك مرجعه إلى أنَّ السُّلطات المملوكية كانت تقف إلى جوارهم في مُعظم الأوقات، وتكبح جماح مَن يتعدَّى عليهم.
- أوضَحَت الدراسة أنَّ صدقات ونذور الرهبان قد حظيت برعاية حُكَّام مصر وسلاطينها، كأوقاف المسلمين، وهو ما أشارت إليه المراسيم التي أصدروها لصالح الرهبان، والتي تنُصُّ صراحةً على ألَّا يتعرَّض أحدٌ لنذورهم.

- بيَّنَت الدراسة أنَّ النذور والصدقات التي كانت تُمنَح للرهبان، سواءً في القدس أو في دير سانت كاترين، قد شارك فيها الأوروبيون والمسيحيون الشرقيون، وكذلك بعض المسلمين.
- كذلك أوضحت الدراسة أنَّ رهبان الأديرة اتَّخذوا عِدَّة إجراءات سِلمِيَّة رسمية للمحافظة على نذورهم وصدقاتهم من المُعتدين عليها.
- اهتمَّت الدراسة أيضًا بمناقشة روح التعصُّب الديني التي سادَت العصور الوسطى، والحروب الصليبية وما صاحبها من أحداث وفظائع، وكيف أثَّرَت هجمات الفرنجة على السواحل الإسلامية فترة الدراسة على الرهبان لفترات قليلة، ولكن سرعان ما تعود الأمور إلى نصابها بسبب روح الإسلام السَّمحة.
- بيَّنَت الدراسة ما كان يُمَيِّز دير جبل صهيون عن دير سانت كاترين؛ إذ كان الأوَّل يحصل على صدقاته ودعمه المادي باستمرار من الغرب الأوروبي، في حين كان الدعم الخاص بدير سانت كاترين متقطعًا، وموارده متعددة؛ من الداخل محليًّا، ومن الخارج حيث أوروبا، ومن ثَمَّ كان تعامُل الدولة يختلف مع كُلٍ منهما؛ إذ كانت الدواعِي السياسية تتغلَّب بالنسبة لدير جبل صهيون على الجانب الديني.

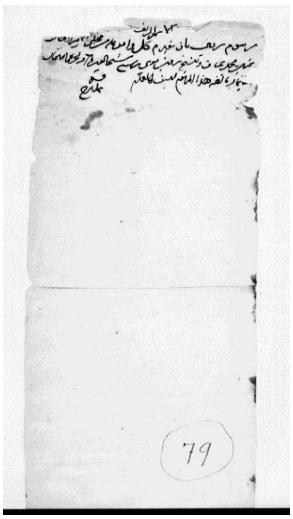

مرسوم ٧٩

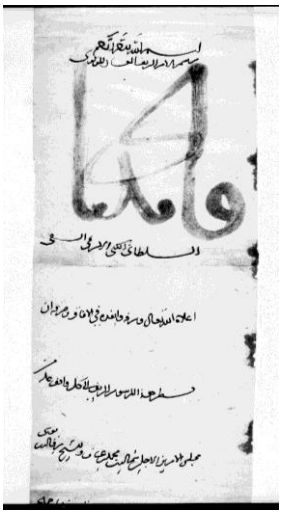

مرسوم ٧٩

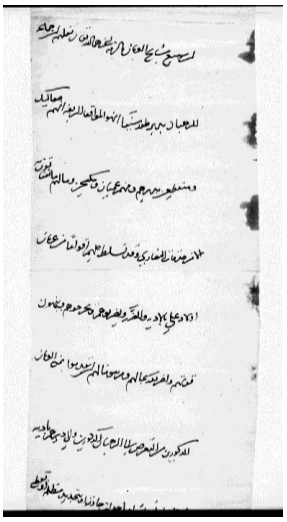

مرسوم ٧٩

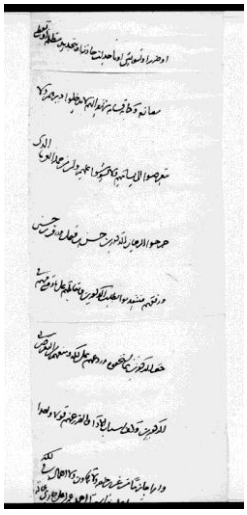

مرسوم ٧٩

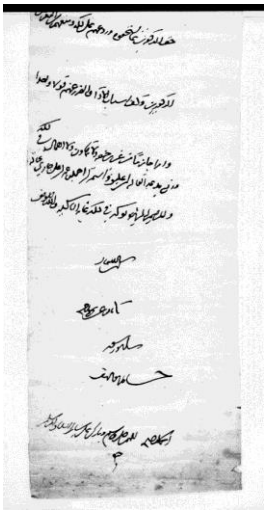

مرسوم ٧٩

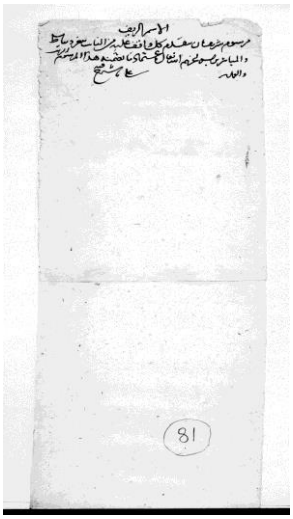

مرسوم ٨١

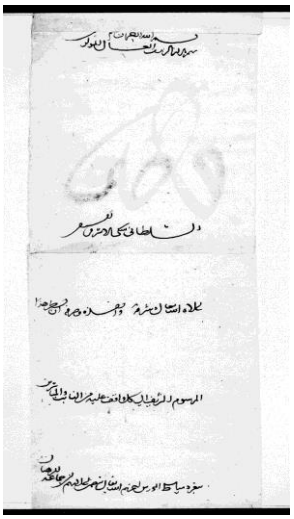

مرسوم ٨١

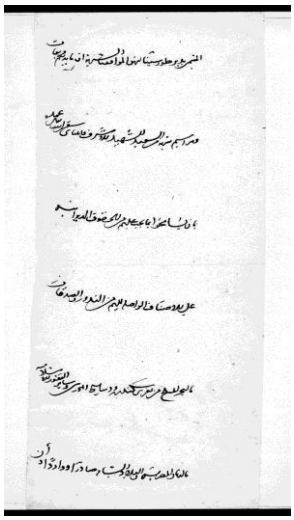

مرسوم ٨١

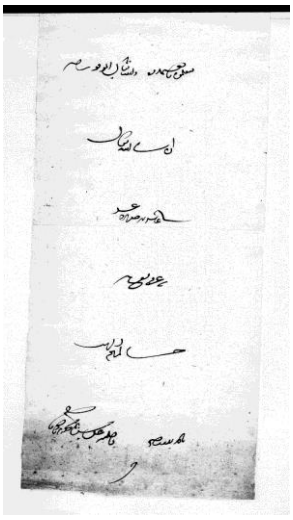

مرسوم ٨١

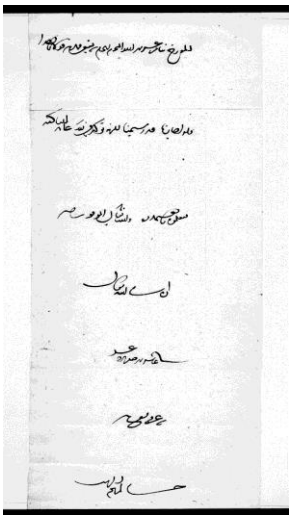

مرسوم ٨١

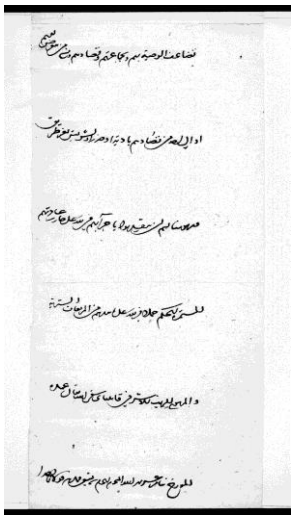

مرسوم ٨١

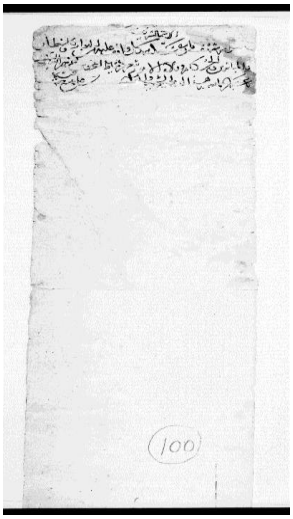

مرسوم ١٠٠

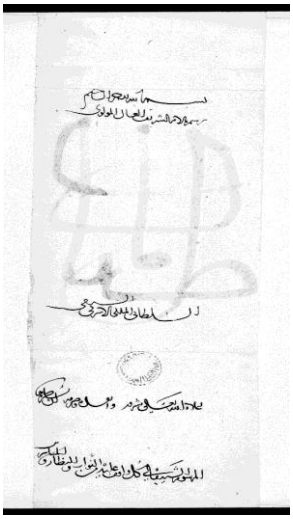

مرسوم ١٠٠

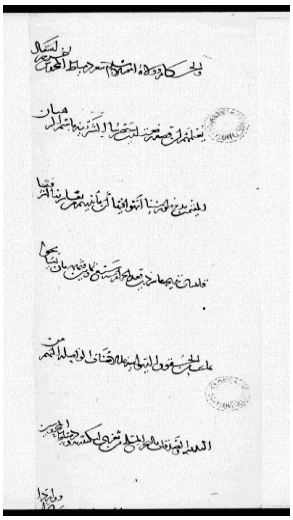

مرسوم ١٠٠

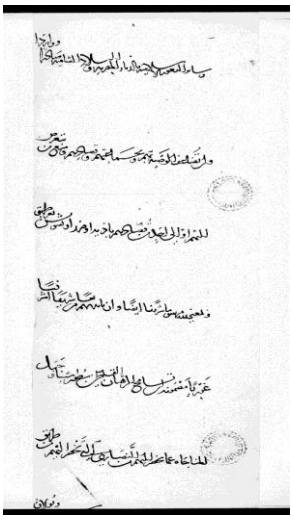

مرسوم ١٠٠

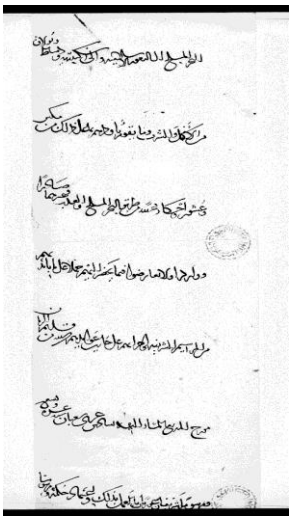

مرسوم ١٠٠

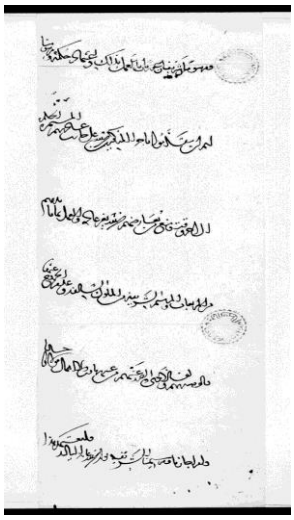

مرسوم ١٠٠

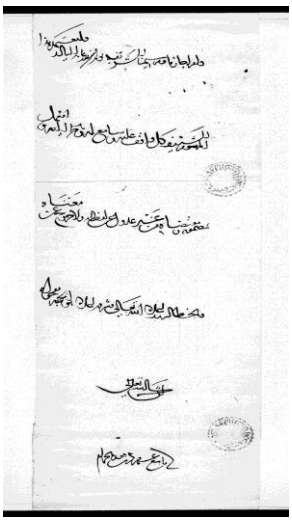

مرسوم ١٠٠

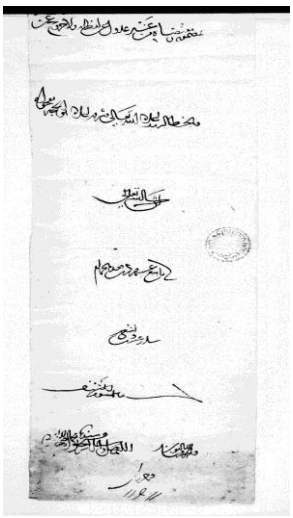

مرسوم ١٠٠

## هوامش البحث:

(١) **الرهبانية**: تعني أن يحيا الفرد حياته في عُزلَةٍ تامَّة بعيدًا عن المدن والأماكن العامرة للانقطاع للعبادة، أي أنَّ الرَّهبنة تعني حياة الزهد والتنسُّك مع اختيار التفرُّد طوعًا. للمزيد انظر:
جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م، ص ١٧٠ وما بعدها؛ محمد محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م، ص ص ١٨٥– ٢٢٣؛ نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبة، دار الفكر، سوريا، ١٩٦٧م، ص ٥٠؛ جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤، ١٩٧٧م، ص ١٠٦.

(٢) انظر تفاصيل ما كتبته عن هذه الوثيقة في الملاحق.

(٣) أحمد دراج، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٤) "الرعاية الإسلامية للرهبان في دير صهيون في ضوء المراسيم السلطانية المملوكية (صور التسامح الديني)"، مجلة مداد الآداب، العراق، ٢٠١٨– ٢٠١٩م، ص ص ٩٧٣– ٩٩٢.

(٥) "من توصيات ومواثيق المماليك للرهبان في القدس وضواحيها" بحث ضمن المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، فلسطين، ١٩٨٠م، ص ص ٢٠٨– ٢٣٢.

(٦) قدَّم الأستاذ الدكتور علي أحمد السيد دراسةً وافيةً مستفيضةً بعنوان" وثيقة عهد البابا ألكسندر الثالث لدير صهيون في القدس عام ١١٧٨م: عرض ودراسة وتحليل"، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م، ص ص ٤٢٩– ٥٢٠، وقد استعان الباحث بفقرات من الدراسة عن الوثيقة البابوية للدلالة على الصدقات والنذور التي منحتها البابوية لرهبان دير جبل صهيون في القدس في القرن الثاني عشر الميلادي، ثم تجديداتها اللاحقة من أجل إعلاء شأن ومكانة البابوية والكاثوليكية في القدس، وتوفير الموارد المالية لدير جبل صهيون لِمَا له من أهمية دينية وسياسية، ومن أجل رعاية وتنظيم شئون الحجَّاج اللاتين في القدس.

(٧) نقولا أنطونيو، الدولة المملوكية ودير القديسة كاترينا السينائية. عرض وتحليل مراسيم سلاطين المماليك المحفوظة في دير القديسة كاترينا بطور سيناء، مصر، ٢٠١٤م.

(٨) **الطُّور**: تشغل بلاد الطور الجزء الجنوبي من شبه جزيرة سيناء بين شطريّ البحر الأحمر، ومساحتها نحو عشرة آلاف ميل مربع، وهي بلاد جبلية وعرة. للمزيد انظر:
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج ٤، ص ٤٧؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ج ٣، ص ص ٣٩١، ٣٩٢؛ المقريزي

(تقيّ الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م، مجلد ٤، القسم ٢، ص ص ٥١٢، ٥١٣؛ نعوم شقير، تاريخ سيناء، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٢؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢١٦.

(٩) ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ج ١، ص ١٩٣؛ رينهارت دوذي، تكملة المعاجم العربية، نقله وعلَّق عليه، جمال الخياط، دار الشئون الثقافية (بغداد)، ٢٠١٠م، ج ٦، ص ٤٣١.

(١٠) عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، اعتنى بترتيبه السيد محمود خاطر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٦٥٣.

(١١) لمزيد من التفاصيل عن بدايات دير جبل صهيون. انظر: أحمد دراج، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢١ وما بعدها.

(١٢) نقولا أنطونيو، الدولة المملوكية ودير القديسة كاترينا، ص ٤٩؛ عبدالحميد ناصف، دير سانت كاترين في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، ص ١٩.

(١٣) هانز إرنست، وثائق رهبان دير سانت كاترين، ترجمة: ماجد عزت إسرائيل، مركز التاريخ العربي للنشر، القاهرة، ٢٠٢٢م، ص ٤٣؛ نقولا أنطونيو، الدولة المملوكية ودير القديسة كاترينا، ص٥١.

(١٤) إسطفان إيليسيوس: من مواليد مدينة أَيلَة المصرية، وهو الذي أمره الإمبراطور جستنيان بتصميم دير سانت كاترين وبنائه. للمزيد انظر:

الأنبا جريجوريوس، سيناء ودير سانت كاترين، جريدة وطني، ج ٣، ٢٠٠٨م.

(١٥) وُلِدَت في مدينة الإسكندرية في أواخر القرن الثالث الميلادي من أبوين مصريين وثنيين، وكانت تدين بالوثنية، ولكنها تركت عبادة الأوثان، واعتنقت المسيحية، وأخذت تدعو لها، فانزعج الوثنيون، وطلبوا منها أن تسجد للأصنام، ولكنها رفضت، فعذبوها عذابًا شديدًا، ثم قطعوا رأسها يوم ٢٥ نوفمبر عام ٣٠٧م، ثم نقل الرهبان رفاتها إلى جبل سيناء، وهو موجود حاليًا في الدير المسمى باسمها في صحراء سيناء. للمزيد انظر:

هانز إرنست، وثائق رهبان دير سانت كاترين، ص ٤٣.

(١٦) هذه الوثيقة حرَّرَها البابا ألكسندر الثالث بتاريخ مارس ١١٧٨م، إلى يوحنا John رئيس دير جبل صهيون (١١٧٨– ١١٩٠م)، وتناولت الممتلكات والريوع الممنوحة لدير جبل صهيون شرقًا وغربًا. للمزيد انظر:

Rey, M. E. G., (ed), Chartes de l' Abbaye du Mont –Sion, Memoires de la Societe des Antiquaires de france, 5 series, 8 (Paris,1887) pp. 31-56.

(١٧) **عسقلان**: كانت تُسَمَّى "أشقلون"، وكانت مركز عبادة الآلهة الفلسطينية، ومسقط رأس هيرودس الكبير، ثم هُدِمَت ونُقِلَت حجارتها وأعمدتها إلى يافا وغزة، ويوجد بها أشجار كثيرة من الزيتون والكروم وغيرها، وبئر ماء عذب، وهي إحدى المدن الفلسطينية التي تقع على البحر المتوسط، وتقع على بُعد عشرة أميال شمال غزة. للمزيد انظر:

جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الأمريكانية، بيروت، **١٩٠١**م، ج **١**، ص **١١٤**.

(18)Rey,E.G.,Chartes,p.42.

(١٩) علي أحمد السيد، وثيقة عهد البابا ألكسندر، ص **٤٦٦**.

(20)Rey, E. G., Chartes, p. 45.

(21)Rey, E. G., Chartes, p. 46.

(٢٢) علي أحمد السيد، وثيقة عهد البابا ألكسندر، ص **٤٦٩**.

(٢٣) من الواضح أنها إحدى العملات الذهبية التي تداولها نورمان جنوب إيطاليا وصقلية خلال القرن الثاني عشر الميلادي. وجدير بالذكر أن الشرق اللاتيني وإيطاليا النورماندية كانتا هما الوحيدتين اللتين سكتا العملة الذهبية بغرض التعامل مع المسلمين، في حين ظلت معظم أوروبا الغربية تتعامل بعملات مصنوعة من الفضة، وقد وجدت هذه العملات الذهبية صدى جيدًا عند المسلمين، ولذا حرص التجار على استخدامها في معاملاتهم، كما استُخدمت بغرض نقل الهبات الدينية التي تبرع بها المؤمنون الأوروبيون. للمزيد انظر:

كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيخ، القاهرة، **١٩٩٥**م، ص ص **١٧٨ – ١٨٠**؛ علي أحمد السيد، وثيقة عهد البابا ألكسندر، ص **٤٦٦**.

(24)Rey, E. G., Chartes, p. 44.

(25)Rey, E. G., Chartes, p. 39.

(٢٦) يُعَدُّ القديس فرنسيس الأسيزي (**١١٨٢ – ١٢٢٦**م) مؤسس رهبنة الفرنسيسكان الذين استقرُّوا في القدس، وكان نشاطهم الرئيسي هو إقامة الشعائر الدينية، ومساعدة الحجَّاج المسيحيين القادمين من أوروبا، كما لعبوا دورًا مهمًّا في البعثات التبشيرية. للمزيد انظر:

رانيا أحمد محمد، القديس فرنسيس الأسيزي **١١٨٢ – ١٢٢٦**م مؤسس رهبنة الفرنسيسكان: حياته وأعماله، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، **٢٠٢٢**م.

(27)Risani, Documenti E Firmani, P.300-301.

(٢٨) علي أحمد السيد، وثيقة عهد البابا ألكسندر، ص ٤٩٧.

(٢٩) مراد كامل، كنوز دير سانت كاترين بطور سيناء، مجلة الهيئة العامة للتأليف والنشر، العدد الأول، ١٩٥٧م، ص ١٢٦.

(٣٠) **الدوكات**: هي نقد ذهبي من ضرب البندقية أصدره مجلس الشيوخ في عام ٦٨٣هـ/ ١٢٤٨م، يزن ٣,٥٤ جم، انتشر تداوله على نطاق واسع في منطقة الشرق الإسلامي حتى أصبح النقد السائد والمرغوب في مجال التجارة لثبات وزنه وعياره، وجودة سَكِّه، وكان يسهل التعامل بها عدًّا لا وزنًا، وشاع استخدام الدوكات فى القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، وحلَّت محل الفلورين كلفظ يدل على أي نقد ذهبي، وعُرِفَت الدوكات بعِدَّة أسماء مثل البندقي والمشخصة والإفرنتي. عبدالرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٩٥.

(٣١) مراد كامل، كنوز دير سانت كاترين، ص ١٢٦؛ جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس. قيام المسيح في سيناء، ترجمة: آسيا الطريحي، سيناء للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٧٧.

(32) Nichola,S.The Orthodox monastery of Mt, Sinai and papl protection of its Cretan and Cypriot properties in "Autour Dela premiee Corisade ,Paris, 1996,pp.475- 477.

عبدالحميد ناصف، دير سانت كاترين في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٠١.

(٣٣) جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس، ص ٧٧.

(٣٤) طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٦.

(٣٥) لعل السبب الذي دفع فابري إلى ذلك هو سوء معاملة رهبان دير سانت كاترين للحجَّاج، وأنهم لا يقدمون لهم أية خدمات إلا بعد أن يقوموا بدفع أموال نظير أية خدمة. للمزيد انظر: فليكس فابري، جولات الراهب فليكس فابري ورحلاته حوالي ١٤٨٠- ١٤٨٣م، ترجمة: سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ج ٣٨، ص ص ١٤٣٠، ١٤٣١.

(٣٦) فليكس فابري، جولات الراهب فليكس فابري ورحلاته، ج ٣٨، ص ١٤٣٠.

(٣٧) قَدَّمَ الأب ريشاني خدمةً جليلةً لكل المهتمين بتاريخ القدس؛ إذ قام بنشر مجموعة من الوثائق العربية التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك، عددها ثمانية وعشرون وثيقةً تشمل الفترة الممتدة من سلطنة الأشرف شعبان بن حسين ١٣٦٣م/ ٧٦٤هـ حتى أوائل سلطنة الأشرف قايتباي عام ١٤٨٠م/ ٨٨٥هـ، إلَّا أنه لم يُعَلّق أو يُحَلّل مضمونها، وكانت هذه الوثائق تسعة مراسيم سُلطانية عامَّة وهي

مرسوم للأشرف شعبان بن حسين، ومرسومان للظاهر برقوق، ومرسوم للصالح بن ططر، ومرسومان للأشرف برسباي، ومرسوم للظاهر جقمق، ومرسوم للظاهر خشقدم، ومرسوم للأشرف قايتباي.

Norberto Risani, Documenti E Firmani dei Sultani che Occuparono il trono d'Egitto, dal 1363-1496 dati ai francescani concedendo esenzioni e privilege, Gerusalemme, Franciscan printing press,Gerusalem,1931,P.20;

أحمد دراج، وثائق دير صهيون، ص ص ٤٤، ٤٥.

(٣٨) يضم دير سانت كاترين مكتبة تحتوي على مخطوطات ووثائق باثنتيّ عشرة لغةً، هي: اليونانية والعربية والسريانية والقبطية والجورجيانية والحبشية والتركية والفارسية والأرمنية واللاتينية والسلافونية والبولونية. وقد تراكمت هذه المخطوطات في الدير منذ إنشائه بفضل الرهبان الذين كانوا يفِدون إليه من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي عام ١٩٥٠م أرسلت مكتبة الكونجرس بواشنطن بعثةً لتصوير أهم مخطوطات المكتبة بالميكروفيلم، واستعانت البعثة ببعض الأساتذة المصريين والأجانب المختصين لمساعدتها في اختيار أهم المخطوطات لتصويرها، وتحتل المخطوطات العربية التي يبلغ عددها ٦٠٠ مخطوطة مكانةً بارزةً بين هذه المخطوطات، إذ تتناول دراسات تمتاز بقيمتها البالغة في النواحي العلمية والتاريخية والفلسفية والفكرية والثقافية. للمزيد انظر:

مراد كامل، كنوز دير سانت كاترين، ص ص ١٢٦– ١٢٨؛ جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤، ١٩٧٧م، ص ١١٤.

Roemer, H., Sinai –urkunden Zur Geschichte der islamischen welt, Leiden, 1981, pp. 321-336.

(٣٩) أهم هذه الوثائق هي تلك الصادرة من ديوان الإنشاء بمصر في عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين إلى الدير ورئيسه ورهبانه، وهي تلقي الضوء على طبيعة العلاقات بين رهبان الدير وبعضهم البعض، وبينهم وبين العرب المُحيطين بالدير، وبين هذه الأطراف والسُّلطات الحاكمة في مصر. جوزيف نسيم يوسف، سيناء كنوزها، ص ١١٨.

(٤٠) **الرهبنة البندكتية**: تُنسَب إلى مؤسسها الإيطالي بندكت St. Benedict (٤٨٠– ٥٤٣م)، والذي كان ابنًا لأحد نبلاء الرومان في بلدة نورسيا بإيطاليا، حظي بقسط من التعليم، إلا أنه تحوَّل عن الدنيا، وعاش منفردًا في أحد الكهوف في منطقة سوبياكو بوسط إيطاليا، ثم أخذ الناس ينجذبون إليه لاتباع طريقته الدينية، ولذلك أسَّسَ ديرًا في منطقة مونت كاسينو Monte Cassino، ووضع قوانين وقواعد نظام الرهبنة البندكتية القائم على التبتُّل والعِفَّة والطاعة والعمل، ثم وضع قواعد الرَّهبنة والديرية في الغرب

الأوروبي، والتي تنظم حياة الرهبان الدينية والعلمية في الأديرة البندكتية. ورن هلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ص ٢٢٧- ٢٢٩.

(٤١) شهد عام ١٢٦٠م/ ٦٥٨هـ تحوُّل الرهبان في دير جبل صهيون من البندكتية إلى الفرنسيسكانية. لمعرفة المزيد عن هذا التحوُّل انظر:

رانيا أحمد محمد، المنازعات حول قبر النبي داود عليه السلام في القدس إبان العصور الوسطى، رسالة دكتوراة، جامعة دمنهور، ٢٠٢٥م، ص ١٣٦.

(42) Risani, Documenti E Firmani, P. 18.

(43)Risani, Documenti E Firmani, P.166.

(٤٤) فريسكو بالدي، رحلات إلى الأراضي المقدسة في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ترجمة: شيرين إيبش، دار الكتب الوطنية، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٩٢؛ شيلتبرجر، مغامرات شيلتبرجر وأسفاره في الشرق العربي والإسلامي ورحلاته في أوروبا وآسيا وأفريقيا ١٣٩٦- ١٤٢٧م، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ٢٠١٧م، ص ١٣٤؛ سماح السلاوي، الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٣١٠.

(٤٥) فليكس فابري، جولات الراهب فليكس فابري ورحلاته، ج ٣٨، ص ١٤٢٣.

(٤٦) فليكس فابري، جولات الراهب فليكس فابري، ج ٣٨، ص ١٤٢٤.

(٤٧) علي السيد علي، القدس، ص ٩٦.

(٤٨) علي السيد علي، القدس، ص ٩٩.

(٤٩) سماح السلاوي، الأوضاع الحضارية، ص ٣١٠.

(٥٠) فليكس فابري، جولات الراهب فليكس فابري، ج ٣٨، ص ١٤٢٤.

(٥١) علي السيد علي، القدس، ص ٩٦.

(٥٢) راعيت الالتزام الكامل بنَصِّ الوثائق ولغتها وترتيب سطورها بيد أنّي حاولت تفسير كل ما هو غامض فيها من ناحية، واستخراج الدلالات التي تضمنتها من ناحية أخرى.

(٥٣) **المراسيم**: جمع مرسوم، وهي ضمن المكاتبات العامة التي يُصدرها السلاطين بالولايات لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم. للمزيد انظر:

القلقشندي، صبح الأعشي، ج ١١، ص ١٠٧.

(٥٤) اتفق الرحَّالة فليكس فابري مع ما ذَكَرَته المراسيم عن وجود عدد من الرهبان المصابين بإعاقة العمى، ويُعَدُّ هو الرحَّالة الوحيد الذي ذَكَرَ وجود هذه الإعاقات.

مرسوم السُّلطان خشقدم رقم ٢٧، سطرا ٩، ١٠.

Fabri, F., The Book of the Wandering of Felix Fabri (1480-1483), Trans by Aubrey stewart, London, 1896,Vol.I,P.297;Vol.III,P.868-871.

(٥٥) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٩، سطرا ١٣، ١٤.

Hans Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde des Sinai –klosters, Otto Harrassowitz,Wiesbaden, 1960, p. 190, 196, 170, 162.

(٥٦) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٦٠، سطرا ١٣، ١٤.

(٥٧) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٦٣، أسطر ٧– ٩.

Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde, p.196

(٥٨) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٦٦، سطر ١٣؛ مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٥، سطر ١٤.

(٥٩) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٢، سطر ٩.

(٦٠) أشارت وثيقة عهد البابا ألكسندر إلى هذا الامتياز، والذي حرص عليه عدد كبير من المتصدقين في الغرب، إذ كانوا يُقدمون أموالًا طائلةً على هيئة صدقة نظير تخصيص قبور لهم بالقرب من جبل صهيون. للمزيد انظر: علي أحمد السيد، وثيقة عهد البابا ألكسندر، ص ص ٤٧٨، ٤٨٨.

(٦١) المراسيم رقم ٤٦، ٥١، ٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٥، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٥، ١٠٢، ١٠٧، ١١٦.

(٦٢) وجدير بالذِكر أنَّ الرحَّالة فليكس فابري قدَّم نصًّا لمثل هذه التعليمات التي ألقاها عليهم باللاتينية، وتُلِيَت كذلك بالإيطالية، ثم ترجمها فليكس فابري للألمانية. للمزيد انظر:

Fabri, F., The Book of the Wanderings, vol. VII, p. 255.

إبراهيم سعيد فهيم، حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (١٢٩١– ١٥١٧م/ ٦٩٠– ٩٢٣هـ)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ص ٤٧، ٤٨.

(63)Fabri, F., The book of the Wanderings, vol. VII, p.610-623.

(64)Fabri, F., The Book of the Wanderings, vol. VII, p.297-298; Barbatre, Le Voyage de Pierre Barbatre a Jerusalem en 1480, eds. Noel Pinzuti, pierre Tucoo-Chala, Klincksieck,1947, p.144.

إبراهيم سعيد فهيم، حركة الحج، ج ٢، ص ٦٢.

(٦٥) آن وولف، كم تبعد القاهرة، ص ٢٩٢.

(66) Francesco Suriano, Treatise on the Holy land, trans. Theophilus Bellorini, Jerusalem, 1948,P.126.

علي السيد علي، القدس، ص ٩٧.

(٦٧) وُلِدَ هنري الثامن عام ١٤٩١م، وتدرَّجَ في كثير من المناصب قبل أن يُصبح ولي العرش الإنجليزي، وقد تم تعيينه وكيلاً لموانِىء سينك Cinque ports، وحاكمًا لقلعة دوفر Dover Castle، ثم مُنِحَ لقب إيرل مارشال Earl marshal وغيرها من المناصب إلى أن تولَّى العرش عام ١٥٠٩م. للمزيد انظر:

أسماء محمد حسين، الملك هنري الثامن وسياسته الدينية في انجلترا (١٤٩١– ١٥٤٧م)، رسالة ماجستير، ٢٠٢٠م، كلية الآداب– جامعة أسيوط، ص ٥٢.

(٦٨) جدير بالذِّكر أننا سننشر ترجمة الوثيقة الخاصة بالملك هنري الثامن، والتي خَصَّصَ فيها المبالغ الخاصة بالنذور لكنيسة الفرنسيسكان. للمزيد انظر ملحق رقم (١).

(٦٩) أشار الرحَّالة ماري جوزيف إلى التبرعات التي قدمها الإسبان، والتي لها أهمية كبيرة قائلاً:" إنَّ الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة Castile كانت سعيدة بتجريد نفسها من المجوهرات الثمينة لصالح القبر المقدس، كذلك خصَّصت للرهبان صدقةً سنويةً قدرها ألف دوكات ذهبية، كما أمر الإمبراطور شارل الخامس بترميم الكنيسة التي كانت مُهَدَّدة بالانهيار على نفقته، وكذلك أرسل فيليب الثاني ثوبًا غنيًّا للغاية من المخمل الأسود مُطَرَّزًا باللؤلؤ الناعم، وأيضًا فيليب الثالث، والذي لم تكتفِ زوجته مارجريت بتخصيص مبلغ سنوي قدره ثلاثون ألف دوكات للرهبان فحسب، بل قدَّما أكوابًا وأثوابًا ومصباحًا فضيًّا كبير الحجم. للمزيد انظر:

Marie Joseph de Geramb,A pilgrimage to Palestine Egypt and Syria, London,1840, p.10.

(٧٠) نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٠؛ علي السيد علي، القدس، ص ٩٧.

(٧١) ذكر الرحَّالة ماري جوزيف عددًا من الشخصيات التي زارت القدس في القرن الخامس عشر الميلادي. للمزيد انظر:

Marie joseph, A pilgrimage, p.14.

(72) Martin Baumgartin, The Travels of martin Baumgartin a Nable of Germany through Egypt. Arabia, Palestine and Syria, trans, Joseph scaligar, 4 Vol. London, 1704, Vol. I, P. 404.

علي السيد علي، القدس، ص ٩٧.

(٧٣) فريسكو بالدي، رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص ١٥١؛ هايد (ف)، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٣٣٧.

(٧٤) وثيقة وقف السُّلطان الأشرف شعبان، محفوظة بأرشيف محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة، تحت رقم ٤٩، في ٣ جمادى الآخر ٧٧٧ه؛ سيدة كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩٥.

(٧٥) نقلاً عن: قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك، دراسة وثائقية، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٩٣.

(٧٦) مرسوم السُّلطان قايتباي، رقم ٧١، السطران ١٩، ٢٠.

(77)Hans Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde des Sinai –klosters ,Otto Harrassowitz,Wiesbaden, 1960, P.252.

(78)Hans Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde , P.196.

مرسوم السُّلطان برقوق رقم ٤٥، السطران ٦٠، ٦١؛ مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٤٢، السطران ٣٩، ٤٠.

(79)Hans Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde , P.242.

(٨٠) مرسوم السُّلطان برقوق، رقم ٤٥، السطران ٥٧، ٥٨.

(٨١) مرسوم الأمير علان من قراقجا الدوادار، رقم ١١٧، سطر ١٣؛ مرسوم السُّلطان قانصوه الغوري، رقم ٨٧، سطر ١٧.

(٨٢) مرسوم السُّلطان قانصوه الغوري، رقم ٨٦، سطر ١٤؛ رقم ٩٠، سطر ٢١.

(83)Loudolph Von Suchem ,Description of the Holy Land, trans by .Aubrey Stewarts in Palestine, pilgrims text society ,Vol ,XII,London,1895,p87.

فريسكو بالدي، رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص ٩٦.

(٨٤) علي السيد علي، القدس، ص ٢٦٢.

(٨٥) للمزيد انظر: مرسوم رقم ٦٦؛ مرسوم رقم ٩٧؛ مرسوم رقم ١٠٠؛

Stern,S.M.,"Petitions from the Ayyubid period", Bulletin of the School of Oriental and African Studies ,vol.27,n.1(1964),p.2.

(٨٦) **العربان**: اسم مرادف لكلمة البدو، والسبب في إطلاقه عليهم أنهم كانوا يعيشون في طور الانتقال من حياة التنقل إلى حياة الاستقرار، ثم أصبح اسم العربان عنوانًا للإخلال والإضرار بالنظام، والاعتداء على الأهالي الآمنين من أهالي القرى والمدن. ويُبيّن ذلك وجود نظرة انتقصت من شأن القبائل العربية

بحيث يصبح الحديث عنها أمرًا غير ذي أهمية مِمَّا يُفَسّر استخدام المصادر التاريخية لكلمة عربان بدلًا من العرب. للمزيد انظر:

سعيد عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٦١؛ سيد محمود عبدالعال، ثورات العربان وأثرها في الاقتصاد المصري زمن سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، العدد العشرون، أكتوبر ٢٠١٢م، ص ٣٩٦؛ عمر جمال، حادثة قتل رئيس رهبان دير سانت كاترين في أواخر العصر المملوكي (سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٤م) دراسة في ضوء الوثائق المحفوظة في مكتبة الدير، مجلة وقائع تاريخية، العدد (٣٥)، يوليو ٢٠٢١م، ص ٤.

(٨٧) كان يعيش بالقرب من الدير بعض العرب الذين كانوا يُقيمون في المغارات والكهوف والجبال المجاورة، واستمرَّت مضايقاتهم للرهبان، ومهاجمة القاصدين إليه وقوافلهم من أجل لقمة العيش. ومن بين القبائل التي كانت تعيش بجوار الدير وحوله قبائل الجبالية والعايد، وأولاد علي، والصوالحة، وأولاد سعيد، والعليقات ...وغيرهم. للمزيد انظر:

نعوم شقير، تاريخ سيناء، ج ١، ص ص ١٠٧– ١١٤؛ مرسوم السُّلطان خشقدم رقم ٢٧، السطران ١١، ١٢.

(٨٨) **أولاد علي**: من القبائل العربية التي كانت تقطن منطقة الطور، وكانوا يقومون بحراسة الدرك، وكان ظهورهم في عصر سلاطين المماليك الجراكسة كما نَصَّت على ذلك الوثائق العامة والخاصة المحفوظة بالدير:

زينب محمد محفوظ، التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب– جامعة القاهرة، ١٩٦٩م، ص ص ١٥٥، ١٥٦.

(٨٩) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٩، سطر ٢٢.

(٩٠) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٩، سطر ٢٢.

(٩١) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٥٨، السطران ١٥، ١٦.

(٩٢) **البولاد**: هي كلمة فارسية وتعني الحديد والصلب، والمقصود بها هنا آلة حادة تشبه موس الحلاقة. للمزيد انظر: رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١م، ج ١، ص ٤٩٠.

(٩٣) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٦٣، السطران ٢٠، ٢١.

Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde p,170.

(٩٤) عمر جمال، حادثة قتل، ص ص ٢٨٢، ٢٨٣.

Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde ,p,224

(٩٥) **شاد الميناء**: شاد أو المشد، مفتش، فيُقال شاد الميناء أي الذي يُفَتِّش على الميناء، ويُراجِع كل ما يدخل إليها، ومثله شاد الدواوين، وشاد الجوالي، وتُسَمَّى العملية شَدٌّ، فيُقال شَدُّ الميناء (أي التفتيش عليها). القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٩٦) **بيت لحم**: تُسَمَّى إفراتة Ephratah ومعناها بيت الخبز، وهي بلدة صغيرة مبنية على تل جنوب بيت المقدس، مُحاطة بتلال تكسوها النباتات والأشجار الجميلة، وتنفجر المياه العذبة من أراضيها الخصبة، وفيها وُلِدَ السيد المسيح، وبها كنيسة المهد. للمزيد انظر: جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٩٧) **عين كارم**: تقع على بُعد سبعة كيلو مترات جنوب غرب بيت المقدس، ويرى البعض أنها القرية التي عاش بها النبي زكريا، ووُلِدَ فيها النبي يحيى، وعين كارم من قُرَى فلسطين المشهورة بجمالها وحُسنِها، فهي مُحاطة بجمال الطبيعة الخلاَّب بسبب ما تحتويه أراضيها من الينابيع والبساتين المزروعة بأشجار الزيتون والكرمة ومجموعة أخرى من الأشجار المثمرة. للمزيد انظر: مصطفى مراد الدبَّاغ، بلادنا فلسطين، دار الهدى، الأردن، ١٩٩١م، ج ٨، ق ٢، ص ١٥٧.

(98)Risani, Documenti E firmani, P.130,144.

أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري– الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، ١٩٦١م، ص ص ٣٢، ٣٣.

(99)Risani, Documenti E firmani, P.300.

أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٩٨.

(100)Risani, Documenti E Firmani, P.336.

(١٠١) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ج ٤، ص ٦١٧؛ هايد، تاريخ التجارة في الشرق، ج ٣، ص ٣٣٧؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٣٢.

(١٠٢) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٣٢.

(١٠٣) مؤسِّس هذه الهيئة الراهب جيرار، فقد اقترح على زملائه تكوين هيئة رهبانية مُنَظَّمَة لخدمة المَرضى، بحيث يُلَقَّب كل منهم بلقب Hospitaller أي مُمَرِّض، وأن يلبسوا جميعًا زِيًّا مُوَحَّدًا عبارة عن رداء أسود طويل يتصف بالبساطة. للمزيد انظر:

نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، الكتاب الجامعي، ١٩٩٤م، ص ١١ وما بعدها.

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦١٨؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٣٢.

(١٠٥) المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٦٩٥.

(106)Risani, Documenti E firmani, P.144.

(١٠٧) وكان هذا التجرُّم من جانبهم انتقامًا لما قام به المماليك من تخريب لأملاكهم بجزيرة قبرص بسبب مناصرتهم للملكة الشرعية شارلوت Charlotte في حرب الوراثة التي قامت في هذه الجزيرة بينها وبين أخيها جيمس James، وهي الحرب التي انتهت باستقرار جيمس على عرش المملكة بفضل إقرار السلطنة المملوكية ومساعدتها له. للمزيد انظر:

محمد مصطفى زيادة، الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على رودس في عهد السُّلطان جقمق، ترجمة: جمال الدين الشيال، بحث منشور في كتاب: دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، د. ت، ص ص ١٢٣، ١٢٤؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٩٨؛ محمد فتحي الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى ١٢٩١– ١٥١٧م، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٩م، ص ١٢١.

(١٠٨) ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤/ ١٤٦٩م)، منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، نشر وليام ببر، كاليفورنيا، ١٩٣٠م، ج ٣، ص ٤٨٨.

(109)Risani, Documenti E firmani, P.300

أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٩٨.

(١١٠) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ص ١٧، ١٨.

(111)Marie –Leon patrem,La Custodie Francisaine de Terre-sainte ,paris,1879,P.140

(١١٢) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٨٩.

(113)Risani, Documenti E firmani, P.336.

أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ١٠٥.

(١١٤) من المعروف أن مثل هذه الترميمات أو عمليات البناء كانت تتم بناء على موافقة القضاة، والسُّلطان، والأمراء. للمزيد انظر:

قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص ١٣١؛ علي أحمد السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٣٥؛ محاسن الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٣٩.

(115)Risani, Documenti E firmani, P.250.

أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ص ٦٢، ٦٣.

(١١٦) مرسوم السُّلطان خُشقدم رقم ٢٧، السطران ١٤، ١٥.

(١١٧) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٧٩، سطر ٢١.

(١١٨) مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٤٢، الأسطر ٣٨– ٤٠.

Richards,D.S,Mamluk Administrative Documents from St. Catherine's monastery,Leuven, ,Paris:Peeters,2011,p.113.

(١١٩) مرسوم رقم ٦٣؛ مرسوم رقم ٦٤؛ مرسوم رقم ٦٦، مرسوم رقم ٦٨؛ مرسوم رقم ٧٠؛ مرسوم رقم ٧٢.

(١٢٠) مرسوم السُّلطان طومان باي رقم ١٠١، الأسطر ١٣– ٢١.

(١٢١) مرسوم السُّلطان طومان باي رقم ١٠١.

(١٢٢) مرسوم السُّلطان قانصوه الغوري رقم ٨١.

(١٢٣) المراسيم رقم ٣١، ٣٣، ٤٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٥، ١١٩، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٤.

(١٢٤) مرسوم السُّلطان الناصر محمد بن قلاوون رقم ٣٤، ومرسوم السُّلطان الغوري رقم ٩٠.

(١٢٥) مرسوم السُّلطان برقوق رقم ٣١؛ مرسوم السُّلطان قايتباي رقم ٦٤، ورقم ٧٣؛ مرسوم السُّلطان الغوري رقم ٨٥، ورقم ٨٨؛ مرسوم السُّلطان طومان باي رقم ٩٧، ١٠٠؛ قاسم عبده قاسم، أهل الذمة، ص ٧٠.

(126)Stern,S.M.,"petitions from the Mamluk period (Notes on the Mamluk Documents from Sinia"Bulletin of the school of Oriental and African Studies,Vol.29,n.2 (1966),p.250

(١٢٧) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ص ٨٢، ٩٣.

(128)Francesco Suriano,Treatise on the Holy land, P.9-11

(129)Fabri,F.,The Book of the Wanderings,Vol,Vii,p.382.

علي السيد علي، القدس، ص ٩٨.

(130)Fabri,F.,The Book of the Wanderings,vol,X,p.618,623

إبراهيم سعيد فهيم، حركة الحج، ج ٢، ص ١١٨.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولًا: الوثائق:**

- **مجموعة الوثائق العربية الخاصة المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين،** ومنها نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة الكونجرس تحت رقم ٥٠١٤ عربي Microfilm 5014 Arabic

١- مرسوم رقم (٤٢) بتاريخ ٥ ربيع آخر عام ٨٧٦ه.
٢- مرسوم رقم (٥٨) بتاريخ ١٣ شعبان عام ٨٧٥ه.
٣- مرسوم رقم (٦٠) بتاريخ ٢٣ شعبان عام ٨٧٦ه.
٤- مرسوم رقم (٦٣) بتاريخ ٩ ربيع أول عام ٨٧٦ه.
٥- مرسوم رقم (٦٤) بتاريخ ١٨ محرم عام ٨٩٠ه.
٦- مرسوم رقم (٦٦) بتاريخ ١٩ رجب عام ٨٩١ه.
٧- مرسوم رقم (٧٢) بتاريخ ١٨ جمادى الأولى عام ٨٩٥ه.
٨- مرسوم رقم (٧٩) بتاريخ ١٣ ربيع الثاني عام ٨٧٤ه.
٩- مرسوم رقم (٨١) بتاريخ ١٠ صفر عام ٩١٠هـ.
١٠- مرسوم رقم (٨٥) بتاريخ ٩ رمضان عام ٩١٠ه.
١١- مرسوم رقم (١٠٠) بتاريخ ١٩ ذي القعدة ٩٢٢هـ.
١٢- مرسوم رقم (١٠١) بتاريخ ١٦ محرم عام ٩١١ه.
١٣- مرسوم رقم (١١٥) بتاريخ ٢٠ ذو القعدة ٧٧٥ه.

**ثانيًا: المصادر الأجنبية:**

-Adler, E.N. ,Jewish Travelers, 1 ed,, London,1930.

وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية للكتاب تحت عنوان: الرحَّالة اليهود رحلة الرابي ميشولام بن مناجم الفولتيري ١٤٨١م في مصر وفلسطين، تحرير: أنكن ناثان أدلر، ترجمة: مصطفى وجيه مصطفى، نورحوران، سوريا، ٢٠١٩م.

- Barbatre, Le Voyage de Pierre Barbatre a Jerusalem en 1480 , eds. Noel Pinzuti, pierre Tucoo-Chala, Klincksieck,1947.

- Baumgarten, M., The Travels of Martin Bumgarten Germany, through Egypt,Arabia,Palestine,and syria,London,1704.

- Benjamin of Tudela, The Voyage of Benjamin.

وقد رجع الباحث إلى النسخة العربية، انظر: بينامين التطيلي، رحلة ابن يُونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة: عزرا حداد، دار ابن زيدون، لبنان، ١٩٩٦م.

- Casola,c.p.,Pilgrimage to Jerusalem , Trans by m. Margaret Newett, Manchester,1907.
- Fabri, F., The Book of the Wandering of Felix Fabri (1480-1483), Trans by Aubrey stewart, London 1896.
- Frescobaldi ,Gucci, Sigoli, A Vist to the Holy places , trans , . Theophilus Bellorini , Jerusalem,1948 .

وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية تحت عنوان: فريسكو بالدي، رحلات إلى الأراضي المقدسة، ترجمة: شيرين إيبش، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، ٢٠١٠م؛ جيورجو جوتشي، رحلة إلى المشرق العربي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ترجمة: شيرين إيبش، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، ٢٠١٠م.

- Rey,M.E.G.,(ed),Chartes de l'Abbaye du Mont –Sion, Memoires de la Societe des Antiquaires de france, 5. series,8(Paris,1887).
- Risani,N., Documenti E Firmani dei Sultani che Occuparono il trono d'Egitto, dal 1363-1496 dati ai francescani concedendo esenzioni e privilege, Gerusalemme, Franciscan printing press,Gerusalem,1931.
- Schiltberger, J., The bondage and Travel of Johan,Schiltberger native of Bavaria in Europe, Asia, Africa, 1396- 1427.

وقد اعتمد الباحث على الترجمة العربية تحت عنوان: شيلتبرجر، مغامرات شيلتبرجر وأسفاره في الشرق العربي والإسلامي ورحلاته في أوروبا وآسيا وأفريقيا ١٣٩٦– ١٤٢٧م، ترجمة وتعليق أحمد إيبش، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، ٢٠١٧م.

- Francesco Suriano, Treaties on The Holy land, Trans. Theophilus Bellorini, Jerusalem, 1948.
- poggibonsi, N., A Voyage Beyond the seas 1346-1350,Jerusalem ,the Franciseen, press,1945.
- Tafur pero, Travels and Adventures ,by Malkhom, l.,in :Broadway travellers, 1926.

وقد رجع الباحث إلى الترجمة العربية للرحلة، انظر: طافور بيرو، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- Loudolph Von Suchem ,Description of the Holy Land, trans by Aubrey Stewarts in Palestine, pilgrims text society ,Vol ,XII,London,1895

وقد رجع الباحث إلى الترجمة العربية للرحلة، انظر: لودلف السوكيمي، وصف الأرض المقدسة، ترجمة: سعيد عبدالله البيشاوي، مكتبة نور حوران، دمشق، ٢٠٢٥م.

- Marie Joesph, A pilgrimage to Palestine Egypt and Syria ,London ,1840.

**ثالثًا: المصادر العربية:**

- ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف ت ٨٧٤/ ١٤٦٩م)، منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، نشر وليام ببر، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١ه/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر، ت ٨٤٥ه/ ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبوعبدالله، ت ٦٢٦ه/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

**رابعًا: المراجع الأجنبية:**

- Hans Ernst, Die Mamlukischen Sultansurkunde des Sinai–klosters, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1960.
- Nichola, S. The Orthodox Monastery of Mt, Sinai and Papal Protection of its Cretan and Cypriot Properties, in: "Autour Dela premiere Croisade, Paris, 1996.
- Richards, D. S, Mamluk Administrative Documents from St. Catherine's Monastery, Leuven, Paris:Peeters, 2011.
- Roemer, H., Sinai–urkunden Zur Geschichte der islamischen welt, Leiden,1981.

- Stern, S. M., "petitions from the Mamluk period (Notes on the Mamluk Documents from Sinia" Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol. 29, n. 2 (1966).
- Stern, S. M., "Petitions from the Ayyubid period", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 27, n. 1 (1964).

**خامسًا: المراجع العربية والمعربة:**

- إبراهيم سعيد فهيم، حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (١٢٩١– ١٥١٧م/ ٦٩٠– ٩٢٣ه)، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨م.
- إبراهيم عبد السيد، البدع والهرطقات خلال عشرين قرنًا، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٨٧م.
- أحمد دراج، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ----------، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري– الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
- أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- أسماء محمد حسين، الملك هنري الثامن وسياسته الدينية في انجلترا (١٤٩١– ١٥٤٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب– جامعة أسيوط، ٢٠٢٠م.
- آن وولف، كم تبعد القاهرة، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٠١م.
- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م.
- جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس: قيام المسيح في سيناء، ترجمة: آسيا الطريحي، سيناء للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.
- رانيا أحمد محمد، القديس فرنسيس الأسيزي ١١٨٢– ١٢٢٦م مؤسس رهبنة الفرنسيسكان: حياته وأعماله، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- رانيا أحمد محمد، المنازعات حول قبر النبي داود عليه السلام في القدس إبَّان العصور الوسطى، رسالة دكتوراة، جامعة دمنهور، ٢٠٢٥م.
- روكسي بن زائد العزيزي،" من توصيات ومواثيق المماليك للرهبان في القدس وضواحيها"، بحث ضمن المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، فلسطين، ١٩٨٠م.

- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، نَقَلَه وعَلَّقَ عليه جمال الخياط، دار الشئون الثقافية (بغداد)، ٢٠١٠م.
- زينب محمد محفوظ، التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير، كلية الآداب– جامعة القاهرة، ١٩٦٩م.
- سعيد عاشور، المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- سماح السلاوي، الأوضاع الحضارية في مصر والشام في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣م.
- سيدة كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- سيد محمود عبدالعال، ثورات العربان وأثرها في الاقتصاد المصري زمن سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، العدد العشرون، أكتوبر ٢٠١٢م.
- سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، جولات الراهب فليكس فابري ورحلاته حوالي ١٤٨٠– ١٤٨٣م، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- عبدالحميد ناصف، دير سانت كاترين في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عبدالرحمن فهمي، النقود العربية: ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، اعتنى بترتيبه السيد محمود خاطر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- علي أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩– ١١٨٧م/ ٤٩٢– ٥٨٣ه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- -------، وثيقة عهد البابا ألكسندر الثالث لدير صهيون في القدس عام ١١٧٨م: عرض ودراسة وتحليل، مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م.
- -------، اليهود في شرق البحر المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.
- عمار مرضي علاوي، "الرعاية الإسلامية للرهبان في دير صهيون في ضوء المراسيم السلطانية المملوكية (صور التسامح الديني)"، مجلة مداد الآداب، العراق، ٢٠١٨– ٢٠١٩م.
- عمر جمال، حادثة قتل رئيس رهبان دير سانت كاترين في أواخر العصر المملوكي (سنة ٨٩٩ه/ ١٤٩٤م) دراسة في ضوء الوثائق المحفوظة في مكتبة الدير، مجلة وقائع تاريخية، العدد (٣٥)، يوليو ٢٠٢١م.

- قاسم عبده قاسم، دراسة وتحقيق الوثيقة رقم ٢٥٢ من مجموعة وثائق دير سانت كاترين، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس والعشرون، ١٩٧٨م.
- --------، أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك، دراسة وثائقية، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيخ، القاهرة، ١٩٩٥م.
- محاسن الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- مراد كامل، كنوز دير سانت كاترين بطور سيناء، مجلة الهيئة العامة للتأليف والنشر، العدد الأول، ١٩٥٧م.
- محمد فتحي الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى ١٢٩١– ١٥١٧م، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٩م.
- محمد محمد مرسي الشيخ، النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.
- محمد مصطفى زيادة، الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على رودس في عهد السُّلطان جقمق، ترجمة: جمال الدين الشيال، بحث منشور في كتاب: دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، د. ت.
- مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، دار الهدى، الأردن، ١٩٩١م.
- نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- نقولا أنطونيو، الدولة المملوكية ودير القديسة كاترينا السينائية. عرض وتحليل مراسيم سلاطين المماليك المحفوظة في دير القديسة كاترينا بطور سيناء، مصر، ٢٠١٤م.
- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبة، دار الفكر، سوريا، ١٩٦٧م.
- هايد (ف)، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.